الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

السنة السادسة

العدد ٢٥٥

6 me Année, No . 255 — Lundi - 23 - 5 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العدد ٢٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ — ٢٣ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهرس

جوائز وزارة المعارف

تشجيع التـــأليف

أخذ صاحب المعالى الأديب الوزير هيكل باشا ينجز الملفوظ والملحوظ من وعوده . وكانت نفوس الأدباء ترقب هذا الإنجاز منذ قيل إن الأمر قد استوثق للحكومة أو كاد . ورأى الأستاذ الوزير أن يبدأ سياسة الإنعاش الأدبى بالجوائز ، لأنها لا تزال منذ كان الأدب أشد القوى المحركة له ، وأقوى العوامل المؤثرة فيه ؛ بلهَ الامكان والسرعة ، لأن سَنَّها لا يحتاج إلى تصديق وزير المال ولا استشارة وزير العدل . ولكن الجوائز المالية لا تبلغ الغاية من وجودها إلا إذا قامت على فكرة صالحة وسارت على طريقة مؤدية . فهل الجوائز التى يقترحها وزير المعارف بنجوة عن مرامي الظنون ودواعى الفشل ؟

يقترح معالى الوزير جوائز وقتية عامة على وضع كتاب فى (تاريخ الأدب العربى بمصر من الفتح الإسلامى إلى الآن) ، وجوائز دائمة خاصة لتشجيع الإنتاج بين المدرسين بالمدارس الرسمية والحرة ؛ والفكرة التى أوحت إلى معالي الوزير هذين الاقتراحين

سليمة مستقيمة لا غبار عليها ولا جدال فيها . فإن الأدب المصرى لا يزال بجانب الأدب العراقى والأدب الأندلسى مطموس الأثر مجهول التأثير مشتت المادة ؛ فدراسته على الطريقة العلمية تثبيت لمعنى القومية فى نفوس النشء ، وكشف لناحية خصيبة من نواحى الأدب . وإن المدرسين كما قال قرار الوزير « هم فى جميع البلاد المتحضرة مصدر التجنيد العلمى والفكرى والعملى فى توجيه الحياة الاجتماعية إلى أحدث المبادئ وأدق الآراء العلمية والأدبية والفنية » فينبغى « حفزهم إلى البحث والتأليف فى موضوعات اختصاصهم ومايتصل به ، بما يؤدى إلى تقوية شخصيتهم العلمية وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والأدبية تدعو إلى نشاط التفكير العام »

بقى أن ننظر فى الطريقة التى تريد الوزارة أن تسلكها إلى تحقيق هذه الفكرة . فهي ترى أن تصل إلى غايتها من طريق المسابقة والتحكيم ، وتنقسم فى ذلك الهيئات الأدبية الرسمية التى استشارتها إلى فريقين : فريق الجامعة ، ورأيه اختيار لجنة من الباحثين المعروفين تضع هذا الكتاب المقترح فى سنة وأربعة أشهر ثم تعطى ألف جنيه مكافأة على وضعه ؛ وفريق دار العلوم وتفتيش اللغة العربية فى الوزارة، ورأيه أن يترك وضع الكتاب إلى المسابقة الحرّة، فإن فى ذلك حفزاً لهمم الشباب ، وتوخياً لمعنى العدل ، ومنعا (لاحتكار علمى) دلت السوابق على وقوعه بحكم العادة أو النفوذ أو المجاملة . وكلمة (الاحتكار) التى جرت على لسان دار العلوم تنم عن شيء من الحنق الدفين على اختيار اللجان الأدبية ، فقد أصبحت هذه اللجان وقفاً على نفر من الأدباء لاتنظر الوزارة إلا إليهم ، ولا تعتمد فى أعمالها إلا عليهم . كأنهم طائفة المستوزرين لا تحل الأزمات إلا بهم ، ولا تؤلف الوزارات إلا منهم . ومرجع هذا الجمود إلى العادة الآلية التى تسير عليها السياسة والإدارة فى الحكومة

وفى رأينا أن إطلاق المشروع فى مسابقة أو تقييده فى لجنة لا يخلو من غميزة ، فإن الموضوع المقترح لا تجدى فيه المسابقة ولا تؤدي ، إذ الأدباء القادرون تعودوا ألا يدخلوا المسابقات تنزيهاً لكبريائهم الفنية عن حكم الأشباه ، وضنا بجهودهم المضنية على تحكيم المصادفة ، واكتفاء بما أخذوا به أنفسهم من الانتاج الذاتي المستمر . والجائزة بعد ذلك كله ضئيلة لا تغرى إرادة الكاتب وإن ضمنتها قدرته . أما غير هؤلاء فسيعالجون الموضوع معالجة الدارس الناشىء ، يستزيد من دراسته ومعاناته علماً وفهماً لنفسه ، ولكن ما يكتبه فيه قد يكون بعيداً عن قصد الوزير وخدمة الأدب وفائدة القارئ ، لما يعوزه من اللقانة الخاصة التى يكتسبها فقيه الموضوع بالمران والزمن . تلك حال المسابقة ؛ أما تأليف اللجنة فقد يكون أوجه الرأيين لو جرى الأمر فيه على مقياس الكفايات لا على تمثيل الهيئات وتمييز المناصب . ومن قبلُ أراد صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد تأليف كتاب جامع فى تاريخ إسماعيل ، وكتاب ثبت فى تاريخ مصر ؛ فجاءه عن طريق المسابقة كتاب الأيوبى ، وعن طريق الاختيار كتاب هانوتو ؛ والفرق بين العملين هو الفرق بين السيرة والتاريخ ، وبين الحيرة والخبرة

ولكن أخوف الخوف — إذا غاب هذا الرأى — أن ينتهى الأمر إلى لجنة من اللجان الرسمية المحفوظة فلا نضمن التشجيع ولا الإجادة

ولعل أجدر الوسائل بالنظر أن تنشئ الوزارة هيئة أدبية دائمة تنتج وتقترح وتراقب ، ثم يوضع فى يديها ست جوائز مقدارها ثلاثة آلاف جنيه، ويكون من عملها غربلة ما تخرج المطابع فى كل عام ، ثم توزيع هذه الجوائز على المجلين فى فنون الأدب المختلفة فى احتفال رسمى عام . ذلك أدنى إلى إنهاض الأدب وتجديده وتسديده . ولو أن مجمع اللغة العربية ألف على غير الأسلوب الذى تؤلف به اللجان الرسمية لكان خليقاً بهذا الأمر ، ولكن ... وهيهات أن تبرأ أقوالنا وأعمالنا من لكن !!

الاصلاح المنشىء والاصلاح الآلي

للأستاذ عباس محمود العقاد

الإصلاح إصلاحان: منشئ تسيطر به الإرادة على العوامل الخارجية، وآلي بعيد من هذه السيطرة لأنه يبدأ بالتسليم وينتهي بالتسليم، وينقاد للعوامل الخارجية في الأساس والجوهر، ولا يجترئ على مخالفتها وتعديلها إلا فيما هو عرض من الأعراض

الإصلاح في الحالة الأولى هو مسألة حية أو مسألة نفسية، والاصلاح في الحالة الثانية هو مسألة عدد أو مسألة تطبيق حسابي قلما تشترك فيها الارادة الإنسانية إلا بالمقدار الضروري الذي لا يمكن منعه، لأن تجريد الأعمال الانسانية من إرادة وشعور كل التجريد أمر لا يستطيعه الانسان، إذ هو مستحيل

مثال ذلك فندق في مدينة يراد إصلاحه واستحداث نظام غير نظامه

فعلى قواعد «الاصلاح الآلي» كل ما يفكر فيه المصلحون أن يعرفوا أن أثاثه قديم فهو محتاج إلى التغيير، وتلك معرفة لا تفتقر إلى ابتكار عظيم

وأن يعرفوا أن عدد النازلين به يزداد فهو محتاج إلى بناء جديد فيه كذا من الجوانب وكذا من الحجرات، وتلك معرفة أرقام وتطبيق حساب

وأن يعرفوا أن الخدم مقصرون أو قليلون، ومن السهل أن يصل الانسان إلى هذه المعرفة بغير قدرة على الانشاء والاختراع

أما الاصلاح على قواعد الانشاء والاختراع فهو يتناول فن البناء وموقع الفندق وموافقة الاضاءة والتهوية لأحدث الكشوف العلمية، ودراسة النفوس وما تهواه من منظر ورياضة وطعام وأساليب في الخدمة، وإقداماً على سبق جميع الفنادق الأخرى في المرغبات والمحسنات، وتفكيراً في ترجيح المدينة كلها على المدن المرتادة للسياحة والتفرج والاستشفاء، لايقتصر على انتظار السائحين والمتفرجين والمستشفين حتى يصلوا بحكم العادة إلى المدينة، فيجدوا الفندق الذي لابد أن يجدوه

كل إصلاحنا نحن يكاد ينحصر في القواعد الآلية، ولا يجترئ على جانب الابتكار والاقتحام إلا من بعيد، وبعد فوات الأوان.

وقد ألقيت من يدي كتاب «على هامش السياسة» لمؤلفه صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا وأنا أضيف مثلاً جديداً على الأمثلة العديدة التي ترجح ما أقول

قرأت فيما قرأت من هذا الكتاب فصل التعليم الجامعي فاذا بالاصلاح المنشود ينحصر:

«أولاً» في أن يجد جميع من أتم سلسلة من حلقة هذه الدراسة المكان الذي يطلبونه في السلسلة التالية، بمعنى أنه يجب أن توجد محال كافية في المدارس الثانوية لمن ينتهي بنجاح من الدراسة الابتدائية، وأن يجد من ينتهون بنجاح من الدراسة الثانوية الأمكنة اللازمة لهم في المدارس العالية مندمجة في الجامعة أو منفصلة عنها الخ الخ»

و«ثانياً» في إيجاد التناسق المرغوب فيه بين أجزاء التعليم فلا تنشأ مدرسة ابتدائية أو ثانوية من الآن إلا بعد أن تنشأ عدداً من المدارس العالية الخ

و«ثالثاً» يجب أن يراعى في هذا التعليم بجميع أجزائه ألا يزيد عدد الفرقة عن الحد المعقول الذي يسمح للمدرس بمراقبة سير تلاميذه، والذي يمكنه من متابعة الإشراف عليهم وتعهدهم وإدراكه مواطن الضعف والقوة في كل منهم

و«رابعاً» ألا يزعج التلاميذ والمدرسون بنقلهم من بلاد إلى أخرى لتمضية الامتحان في حرارة الصيف المحرقة حيث يحشرون في أماكن تقام للضرورة تحت الخيام الخ

وقس على ما تقدم سائر الاصلاحات المنشودة في نظام التعليم الجامعي ومايترقى إليه من تعليم المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية

أي انه إصلاح «ضابط» أو رئيس ضباط في مدرسة واحدة أو مجموع مدارس مختلفة، وليس باصلاح سياسي يضع البرامج وينشئ العقول والنفوس

انتقل من مشكلة التعليم الجامعي والتعليم كافة في نظر سياسي مصري إلى هذه المشكلة بعينها في أنظار الساسة الأوربيين،

واجتهد أن تقيس المسافة الشاسعة التي تفرق بين النظرتين

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على أساس الحرية الفردية ، أو على أساس غلبة الدولة وانغماس الفرد فى الأمة أو فى الهيئة الحاكمة ؟ فاذا تعلم على أساس الحرية الفردية فالنتيجة تشمل كل نظام فى الأمة من حقوق دستورية، وحقوق اجتماعية وطموح إلى النقد ، وقدرة على المخالفة ، وإيمان بالتقدم والفكر الانسانى والمناقشة العقلية

وإذا تعلم على أساس غلبة الدولة ، فالفضيلة الكبرى هى الطاعة والإذعان والإيمان بعصمة القادة ، وأن التقدم الإنسانى وهم من الأوهام ، وأن القوة هى السلطان الأعلى فى الزمن القديم وفى الزمن الحديث ، وأن التواريخ والآداب لا ينبغى أن تفهم ولا أن تدرس إلا على هذا الاعتبار

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على دين العصبية الوطنية والغلو فى تمجيد الذات وتغليب الوطن على جميع الأوطان ، أو يتعلم الشاب على دين المعاونة الانسانية والعقائد التى تمثلها عصبة الأمم ويبشر بها دعاة الوحدة العالمية

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على اعتقاد أن الآداب والفنون والأديان هى ترجمان طبقة واحدة أو سلاح طبقة واحدة فى حرب الطبقات ، أو يتعلم الشاب على اعتقاد أن الآداب والفنون والأديان هى ثروة بنى الانسان جميعاً من قديم الزمان ، وستظل ثروتهم جميعاً إلى آخر الزمان

تلك هى مشاكل التعليم الحقيقية أو هى بعض مشاكله الكثيرة فى العهد الحاضر ، وليست هى عدد الفصول وعدد المدارس والمدرسين وأماكن الامتحان

ومشكلة الامتحان عندهم ليست هى الخيام التى تقام أو لاتقام ، وإنما هى البحث فى الوسيلة الصحيحة لاختبار الملكات الذهنية والنفسية : هل هى بالسؤال والجواب ، أو هى بالملاحظة الطويلة فى أثناء العمل ، أو هى بالاختبارات « الإيحائية غير المباشرة » التى تكشف القوى الكامنة دون سؤال صريح فى ظاهر الموضوع

وقبل أن يصلوا إلى مشكلة الامتحان تقوم مشكلة أخرى وهى مشكلة المواد التى يجري فيها الامتحان وتقسيم الدارسين على حسب تقسيم الدروس

فهل العقول الانسانية لاتنقسم إلا إلى عقل عالم وعقل أديب ! أو هناك أقسام شتى يدخل فيها العقل الفنان ، والعقل الصانع ، والعقل الادارى ، والعقل المشارك فى المداورات الاجتماعية الذى يربح بحسن الدخول بين الناس مالا يربحه أعلم العلماء ولا أبرع الأدباء بالنجاح فى ميادين العلوم والآداب ؟

وهل حتم على العقول الانسانية جميعاً أن تتذوق الرياضة والجغرافيا والكيمياء وإلا كانت ناقصة معيبة ، أو هناك عوالم للتفكير والشعور وراء الرياضة والجغرافيا والكيمياء ، وهناك عقول تصلح لهذه العوالم وان كانت لا تصلح لما عهدناه من برامج الدروس

تلك أيضاً بعض مشاكل التعليم التى تدخل فى نطاق من يصلحون البرامج وينشئون الأفكار ، ولكنها لاتدخل فى وظيفة الضابط أو كبير الضباط

أذكر أن إصلاح التعليم العالي عرض للبحث منذ سنتين ، فكان بعض المصلحين « على الترتيب والتعقيب وخط المسطرة والبركار » يقولون إننا نبدأ بالتعليم الابتدائى حتى نعرف ما نحتاج إليه فى المدارس العالية ، كأنما المسألة مسألة بيت يبنى الدور الأرضى منه قبل أن تبنى الأدوار العليا ، أو كأنما المسألة مسألة طريق لا تصل إلى الميل الثانى منه قبل أن تجتاز الميل الأول ، أو كأنما هي أعمار لا تكون فى الثلاثين إلا بعد أن تكون فى العشرين ، وهى ليست بهذه ولا هذه ولا تلك ، وإنما هى مسألة غاية ترتب عليها البداية وتعرفها قبل أن تخطو خطوة واحدة فى طريقك إليها ؛ ومن ثم وجب أن تبدأ بالتعليم العالى ثم تعلم التلاميذ فى المدارس الابتدائية وفى المدارس الثانوية ليستعدوا له وينتهوا إليه ؛ ولا ضرورة على الاطلاق لانتظار السنة الأولى الابتدائية وأنت تفكر فى تقرير المناهج الجامعية ، وإنما هى ضرورة وهمية عند من يمشون على المسطرة ولا يخرجون على الترتيب المرسوم!

***

علينا أن نصلح المصلحين ونداوى أطباءنا وليس هذا بميسور

أو علينا أن نكسر المسطرة القديمة ونترقب نوازع الاقتحام فى الجيل الجديد وان طاشت فى بداية اقتحامها ، وذلك أيسر الأمرين .

عباس محمود العقاد

المذهب الرمزى

أهو نزعة سليمة فى التفكير ؟

للأستاذ عبد العزيز عزت

يَعْزُو المذهب الرمزى اسمه الفرنسى Symbolisme إلى مورياس فى نشرة طبعها عام ١٨٨٦ (١) وفى أحد أعداد جريدة هذا المذهب عند أوائل ظهورها، واسمها «الرامز» Symbobste — بطبيعة الحال — يجد القارئ مكتوباً فيها — بحبر ! ! — ما ترجمته : «الشيء الموجود ما هو إلا مظهر ، مظهر خدّاع ، لأنه يكفى أن تتغير حالتى النفسية حتى يتغير وجوده» — هكذا ! — ويقول العلامة مارتينو مدير جامعة بواتييه فى كتابه وعنوانه «المذهب البرنامى والرمزى» ما نصه : «إننا نجد عند فرلين ، وعند ملارميه ، وعند رامبو وكثير من الرمزيين ، أن الشيء الواقع ومثوله ، حاضراً كان أم ماضياً ، لا قيمة له مطلقاً»

ولكن إذا كان المذهب الرمزى يبلغ من العجز أن يتعالى وينكر وجود الأشياء الواقعة ، ويجعلها إضافية إلى عوارض النفس وانفعالاتها ، فماذا يستعيض بها يا ترى ؟ ؟ يجيب مدير الجامعة السابق فى نفس الكتاب صفحة ١٤٠ بقوله : «إن عباقرة هذا المذهب يحلون هواجس النفس وشؤم التصور وإبهام الطلاسم وضعف الإقدام ، فى مكان الرأى الواضح»

وعليه ؛ فالمذهب الرمزى فى الأدب وفى غير الأدب من فن ودين ، هو نوع من الغمز واللمز فى التفكير ، لا يستقيم له عود ولا تمتد له ظلال . ذلك لأنه مبدأ بنى على الالتواء والغموض الفكرى ، تنعدم فيه الصراحة ، ويفسد فيه الوضوح ، ويختل فيه ثبات الآراء بالمعنى الأفلاطونى . ولما كانت الصراحة والوضوح هما أساسى الحقائق الفكرية الثابتة التى بدونهما لا يستقيم للعقل منطق ، ولا للشعور انسجام ، كما يؤكد هذا ديكارت فى كتابه المعنون «مقال عن المنهج» فى إحدى قواعده الأربع العقلية ؛ ولما كانت الحقيقة والفضيلة متكافئتين متعادلتين فى فلسفة ديكارت ، فقد أضحى هذا المذهب يتناقض وأول أصول العلم الحديث ، ويتعارض وبديهيات مبادئ الأخلاق ، هذا من الوجهة النفسية

والرأى صحيح إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة تطور التفكير الانسانى ، على صفحة الزمان ، وتسلسل المعارف البشرية وتعاقب الملكات النفسية التى عملت على خلق التراث البشرى فى التاريخ . هذا التطور يؤكد لنا منطقاً لا يحيد مجراه ، فلا تختل له حقبة من الزمن ولا «ينفك له تماسك فى دورته» ، قد عبر عنه أبو التفكير الانسانى الحاضر القائم فى العلوم والآداب (أوجست كنت) فى كتبه المتعددة ، وخاصة فى كتابيه «الفلسفة الوضعية» و «التفكير الوضعى» (وهو يلخص كل فلسفته) ، فهو يثبت أن الانسانية تطورت فى ثلاث حالات : الحالة الأولى وتسمى حالة «التصوف» أو «الدين» ، والحالة الثانية «التجريد العقلى» التى تتمثل فى الحضارة اليونانية القديمة وعلى الخصوص فى فلسفة أرسطو العظيم ، والحالة الثالثة تسمى بالحالة «الوضعية» التى تحتل حالة العلم فى زماننا هذا أى عهد التجربة الذى يقوم على ملاحظة مظاهر الطبيعة ومظاهر النفس لتحديد «علاقاتها» وصوغها فى قوانين خاصة ، أو لا تؤدى حتماً إلى قوانين عامة بها ، ولكن للانسان أن يستغلها عملياً ويتنبأ بما سيؤدى إليه نشاطها فى المستقبل القريب والبعيد (١)

والذى يهمنا من هذه الحالات الثلاث ، هى الحالة الأولى لما بينها وبين المذهب الرمزى من التشابه . فأوجست كونت يعرفها قائلاً : «إنها تمثل مظاهر الوجود ، كاحساسات تتخيلها . فهى بهذا الاعتبار فى مقدور تصورنا ، تتوقف على إدراكنا لها بالبصيرة» : أى إن الأشياء على اختلافها لا قيمة لوجودها الذاتى ، ولكن بالنسبة إلى حالة النفس وأهوائها فى مناسباتها المختلفة . ويقول إنها حالة نفسية تسود عند الزنوج والقبائل المتوحشة لعجزهم عن فهم المظاهر الخارجية ، ولقصر أفهامهم عن إدراك المعانى النفسية المجردة ؛ لهذا يستعيضون عن ذلك برموز يقدسونها لمدلولاتها ، وبحركات وطقوس يرددونها فى مناسبات معينة ، ظناً منهم أنها تفى بما يرتسم لها من عقيدة فى أذهانهم ، وبعناصر الطبيعة يفرضون عليها

(١) إقرأ مكسيم فرمون فى كتابه «الرمزيون» صفحة ٢٢

(١) اقرأ أيضاً مقدمة «علم الطب التجريبى» لكلود برنار)

الحياة ، ثم يؤلهونها باعتبارها قطب الاتصال الروحانى بنفوسهم الحائرة !

كذلك المذهب الرمزي يمثل نوعاً من الدخول إلى النفس والتغلغل فيها ، ونوعاً من الحرية الجامحة فى إمكان التصوير والتعبير لمظاهرها التى لا تستقر على قرار . لهذا كان « الرامز » لا يخرج إلى الناس فى وضوح العقل وانسجام المنطق ، فهو أضعف من أن يرتفع إلى هذا المستوى الانسانى وكان لا يتبادل الخير وفضل المعاملة الفكرية مع بنى الانسان فى المجتمعات البشرية ؛ وكان لغموض إحساساته الانسانية وتضارب نزعاته لا يقبل على تفهم أمر الوجود العالمى ماديا كان أم تاريخياً وإنما كان يمثل حالة نفسية هى أقرب إلى المرض منها إلى شىء آخر ، يسودها محض الخيال والوهم والأنانية الفردية بعينها ، لأن العالم فى كل نواحيه وفى كل مدلولاته الصحيحة ، وكذلك التراث الانسانى الذى اتفق على استقامته العلماء والحكماء منذ العهود الأولى يصبح باطلا ؛ ويجب أن تبتدئ الخليقة دورتها من جديد ، وأن تتخذ فى ذلك من « هواجس » هذا الرامز أسسها الأولى . وليس بعد ذلك من دليل على الخروج على إجماع السلف والخلف وقلب الحقائق والوجود فى كل شىء ؛ فالتاريخ يكذب ، والمنطق يحتضر ، والاجماع ينكر ... وإنها لنزعة تذهب بالانسانية إلى عهد تهيم فيه على وجهها فى الأرض ، فلا تخرج عن حد الفطرة والعراء !

وثالثاً — فان الرأى صحيح كذلك من الوجهة الاجتماعية ، لأن العلم فى نظر أبى الاجتماع الحديث (دركيم) هو التعاون المشترك بين العلماء . ونشوء المدارس الفكرية ، التى تبنى إقامة قوانين ثابتة لمظاهر الوجود فى كل شىء ترتكز على نظريات يدعمها البحث والاستقصاء . وهو أيضاً إشراك الناس فى مفهوم الحقائق المكتشفة ، ورفع الغموض والالتباس عن أفهامهم ليقروا فى إجماع الحقائق واضحة . فالعلم إذاً مظهر من مظاهر الاجتماع البشرى مهمته خلق التماسك الفكرى فى عقلية الفرد عن طريق الوضوح ، وخلق نفس هذا التماسك فى عقلية الأفراد عن طريق ثبات الآراء والنظريات ، لأنه كلما رفع الجهل والغموض والابهام عن عقول الناس زاد « الوفاق » فيما بينهم ، لاتحادهم فى نفس وجهات النظر والتفكير

وأكبر دليل على صحة ما نقول هو أنه عندما ساد مذهب السوفسطائية فى المجتمع اليونانى القديم الذى يرتكز على مبدأ « الشك » ومرض « الحيرة » الفكرية ، لأنهم كانوا يبشرون بنظريات يصح أن يلقنوا الشبيبة نقيضها فى الغد ، فالعلم فى نظرهم هو علم « الفرد » وعلم « المناسبات » ، وعلم الفصاحة والثرثرة والرغاء ، لهذا ساد الفهم « النسبى » للحقائق فى ذلك الزمان ، وأدى المنطق الفاسد إلى سوء الأخلاق لعجزهم عن تصور علم واحد ذى منهج واحد يوجد بين الناس ويوجه أفكارهم إلى الغايات المتحدة فى الفهم ، فلزم للقضاء على السوفسطائية قيام ثلاث ثورات لتنظيف المجتمع اليونانى من أدران أفكارهم : الأولى ثورة سقراط فى الأخلاق ، والثانية ثورة أفلاطون فى الطبيعة ، والثالثة ثورة أرسطو فى المنطق . والمذهب الرمزى كالسفسطة ينعدم فيه الفهم الاجتماعى ، لأنه يرجع الحقائق إلى محض « الفرد » أى هواجس نفس الرامز وتصوراته الملتوية وغموض إحساساته التى تخرج عن أساليب المنطق ، وتتناقض وعرف المجتمعات البشرية . لهذا كان هو مذهباً أنانياً أشد خطراً من الشيوعية بل ومن الفوضوية ؛ لأن هذه المذاهب على ما بها من قبيح دنىء تبنى فى النهاية نوعاً من الخير للمجموع فى نظامها الخاص المبتور

ويؤيدنا فى رأينا هذا مدير جامعة بواتييه السابق الذكر ، فى كتابه صفحة ١٤٢ إذ يقول : « المذهب الرمزى مذهب ثورى يركن إليه الشبان باسم التجديد لهدم النظام السياسى والاجتماعى والعقلى والفنى الذى قد ورثوه عن سلفهم الصالح فى بلادهم . ولهذا يجب أن يتخذ القائمون بالأمر فيها الحذر من مثل هذه النزعات الطائشة والصرخات الجامحة ، التى تبنى قلب نظم المجتمعات الهادئة التى تساير التطور العام لدورة النشاط المتزن فى سائر أمم العالم »

« ويقول هذا العلامة كذلك فى صفحات ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ من نفس الكتاب : إنه بالرغم من قيام مبادئ الحرية التامة فى التعبير عن الآراء فى بلد كفرنسا ، وبالرغم من أن هذا البلد يعيش خاضعاً لمبادئ الثورة الفرنسية التى يدين بها نظام الحكم الجمهورى فيها ، فإن المذهب الرمزى عند ما ابتدأ ظهوره

وأخذت « أبواقه » ترتب الدعاية والنشر له ، قامت قائمة الناس فى فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد . ولهذا أجمعت الناس فى فرنسا على جوحه وشره الفتاك ، وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة المدير — أن يقضوا عليه فى عشرة أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه « غير مأسوف عليه »

وأقول بعد ذلك : إن مذهب « الرمزية » من أصول الكثلكة (1) . فهى تذهب إلى نوع من التصوف يغمض كثيراً على عقول تابعيها . لهذا تعمد لتقريبه إلى أفهامهم إلى رموز خارجية محسوسة ، كل منها له معنى بعيد يكفل لهم نوعاً من الترجيح فى التصور . وهى في هذا تسير على الخصوص مع تعاليم القديس أوغسطين الذى كان يعتقد أن ليس هناك دين صحيح أو باطل ، إلا وله ولتابعيه اتفاق محدود على رموز معينة لها مدلولات خاصة تنحصر فيها أفهامهم . وهذا ما دعا بعض الناس الى اتهام الكاثوليكية بالوثنية ، وعلى الخصوص عند ما صرح رؤساؤها بأن المذهب الغالب فى تعاليم الكنيسة هو مذهب القديس توماس ؛ لأن هذا الحبر الكبير كان يخضع فى تعاليمه إلى فلسفة أرسطو . والكل يعرف أن هذه فلسفة أرسطو هى فلسفة الصنم ، لأن أساسها كأساس سائر الفلسفات القديمة . وكذلك فلسفة ديكارت فى العهد الحديث هي علم الألهيات ، وهذا العلم تنحصر ابحاثه فى تحديد طبيعة العناصر الأولية التى بها يجب أن يتحقق الشكل الكامل في الهيولا العارية فيبدو ناصعاً كحقيقة وكغرض . وصحة قولنا هذا تؤيده نظرية تقسيم العلوم فى هذه الفلسفات ، وما كتبه على الخصوص العلامة المشهور راڤينسون وهاملان عن أرسطو .

عبد العزيز عزت

عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

---

(1) إقرأ كتاب القسيس جيرودون وعنوانه « شرح المذهب الكاثوليكى » طبعة « بلون » صفحات ٣٢٨ ، ٣٨٢ ، ٣٢٠ . وأيضاً « قاموس الرمز » لقساوسة البندكتين للقديس لويس

من برجنا العاجي

ينبغي أن نحترم أولئك الذين يحترمون الفكر . رأيت هذا الأسبوع واحداً من هؤلاء : هو طبيب فاضل ، طلبنى فى منزلى بالتليفون مرات ، ثم زارنى فى مكتبي مرتين دون أن يظفر بلقائى . ولم ييأس ، فحضر الثالثة فوجدنى ، وأخبرنى أنه يحتفظ بكل كتبي إلا كتاباً واحداً ، بحث عنه كثيراً فلم يجده . وهو يدفع فيه الآن أبهظ ثمن حتى لا تنقص مجموعته المجلدة أفخر تجليد . فلم يؤثر فى نفسى أيضاً هذا الكلام ، وأحلته فى اختصار إلى مكتبة باعته النسخة بضعف ثمنها . وإذا بخطاب شكر واعتراف بالجميل يصل الى من هذا الرجل فى اليوم التالي . شكر على ماذا ؟ لست أدرى . ولكني تأملت قليلا فخجلت . إن هذا الرجل يحترم الفكر فى ذاته وينفق فى سبيله الجهد والمال . إن هذا الرجل يشكرنى وقد دفع ثمن النسخة بينما أرانى قد أهديت كتبى تورطاً أو حمقاً الى أناس لم يعنوا حتى بارسال بطاقة شكر . وتذكرت أولئك الذين لا يفعلون شيئاً إلا أن ينتظروا أن نهدى اليهم كتبنا ليقرأوها متفضلين، أولا يقرأوها مهملين . مثل هؤلاء ينبغي أن نحتقرهم مهما كانت مكانتهم . إن الفكر ما ارتفع قدره يوما إلا على أيدى رجال من طراز ذلك الطبيب الفاضل . وما صغر شأنه إلا على أيدى هذه المخلوقات التى تبذل مالها فى كل شيء إلا فى كتاب !

ولقد سرت عدوى هذا « التسول » الأدبي إلى الهيئات العلمية والثقافية . فقد جاءنى كذلك هذا الأسبوع خطاب من دار الكتب الحكومية تطلب نسخاً من كتابي الجديد هدية أو « صدقة » ! وقد علمت أن الدار لها « مال » مخصص لاقتناء الكتب . ولكن ماذا نقول فى زمن هانت فيه قيمة الفكر حتى بين الهيئات العلمية الرسمية ؟ إلا فليعلم الناس منذ اليوم أنى سأبطل عادة « الهدايا » ابتداء من كتابي القادم ، وأني لن أقدم جهدى إلا لقرائى المخلصين الذين يقدمون إلىّ جهدهم وعنايتهم ومالهم . أما الآخرون فلن أعترف لهم بوجود . وإنى منذ اليوم لن أحترم إلا من يحترم فكرى ويسعى إليه ويبذل فيه ما يستطيع

توفيق الحكيم

قاسم أمين

هل كان كردياً ؟

لأستاذ جليل

قرأت فى (الرسالة) الغراء قصيدة (الأستاذ على الجارم بك) فى (ذكرى قاسم أمين) العالم الفقيه المشهور ، فلما جئت إلى هذا البيت :

يا فتى الكرد ، كم بزت رجالا من صميم الحمى ومن أعرابه[١]

استعجبت من القول ومن القائل . والأمر حقيق (والله) بالاستعجاب والاستغراب ؛ فانى أعرف المعرفة البليغة أن (قاسماً) كان عربياً مصرياً ، ولم يكن كردياً ولا أرمنياً ، وقد ولد فى مصر فى القاهرة ، وتثقف فيها ، وعمل لسلطانها ، فكان قاضياً يحكم بين الناس بالعدل ، وكان خدين إمام المسلمين كلهم أجمعين وسيد العرب المصريين فى زمانه الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) وحميم تلميذه نبي الوطنية العربية المصرية (سعد) المعظم . وكتب بالعربى كتباً ، ولم يكتب بالكردى سطرا ؛ ولن يضيره عند الله ولن يضع منه عند العقلاء أن القوم لم يعقلوا مقاصده فضلوا ولم يهتدوا . وذهبنا[٢] نردّد صباح مساء قول أستاذ الدنيا جار الله[٣] «استعذ بالله من شر ما أنت راء ، فان الدنيا كل يوم إلى وراء» وأبصر بحرُ الاسكندرية فى صَيفه فى سِيفه[٤] مشاهد لم يبرح من أجلها ملتجّا مصطخب الموج مزمجراً يوشك أن يعيدها

(١) وردت (بزت) فى البيت بالزاى . وبزه يبزه بزا غلبه وغصبه ، وبذ — بالذال — القوم يبذهم بذا سبقهم وغلبهم ، والعرب تقول : بذ فلان فلاناً إذا ما علاه وفاقه فى حسن أو عمل كائناً ما كان كما قال (اللسان)

(٢) ذهب يفعل بمنزلة طفق يفعل وليس ثم ذهاب (الزمخشرى)

(٣) صاحب الكشاف والأساس والفائق

(٤) نزلوا بالسيف : بالساحل ، وهم أهل أسياف وأرياف ، وحكى الفارسى : أساف القوم : أتوا السيف (الأساس ، اللسان

وقد زين لى ذات يوم شيطان من الانس أن أذهب إلى ذاك السيف والمصيفون والمصيفات مسيفون ومسيفات فذهبت ، ولما شاهدت ما شاهدت هربت وأنا أقول : ياله من مشهد ! اللهم اشهد ...

نوحيّة ... وها قد أقبل الصيف وبدت هناك جنادعه[١] ...

وربما أراد الأستاذ الجارم أن يقول : (يا فتى أصله من الكرد) فلم ينجده الوزن الموروث هو وأخته القافية المتقفاة منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة . فهو يعنى — إن أراد ذاك القول — أصل الرجل لا الرجل

وهذا القول مفنَّدٌ قائله مدفَّع فالمرء بفضله وفصله[٢] ، لا بزخرفه وأصله . والأمة إنما هى بلغتها وأدبها وعقيدتها ومصلحتها . وقد قال أحمد بن الحسين الهمذانى صاحب الرسائل والمقامات: «المرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد . والانسان من حيث يثبت . لا من حيث ينبت » وقاسم قد وُجد وولد فى مصر ، وثبت ونبت فى مصر . وإنا إذا فتحنا هذا الباب وأنشأنا نقول : يافتى الأكراد ، ويافتى الأتراك ، ويافتى الأعراب ، ويافتى الاغريق ، ويافتى الشركس ، ويا فتى الألبان ، ويا فتى الفرس ، ويا فتى الهند ، ويا فتى الصومال ، ويا فتى المغرب ، ويا فتى الشام ، فقد تشظت الأمة (العربية المصرية) — يا أخا العرب — وهفت هُفُوّاً[٣]

وإذا أحب الناس أن يفتشوا عناصرهم ، ويفحصوا مستقصين عن جراثيمهم صاروا إلى المقالة العربية المشهورة التى لخصها ابن خلدون وأوضحها الأئمة دروين والأستاذ (أرنست هيكل) وهكسى وبخنر وغيرهم وفصلوها تفصيلا . وهذا تلخيص المقالة :

« أنظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج . آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذر له . وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب

(١) يقال : رأيت جنادع الشر أى أوائله (اللسان) وفى (مجمع الأمثال) بدت جنادعه : يضرب مثلا لما يبدو من أوائل الشر

(٢) لا أصل له ولا فصل أى لا نسب له ولا لسان (الأساس)

(٣) هفا الشيء فى الهواء إذا ذهب ، وهفت الصوفة فى الهواء تهفو هفواً وهفواً (الفائق ، اللسان)

لأن يصير أفق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين إلى الانسان »

وقد سمعت العلامة الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثعالبي أيده الله وقواه يقول في أحد مجالسه فى الاسكندرية :

« إن الناسخين حذفوا عبارة مهمة من قول ابن خلدون مستحين منها »

« والله لا يستحى من الحق » وهل فى الدين والعلم حياء يا أبناء ... يا عترة الفلْحس واخوة الرُّباح [1]

والأمة الفرنسية — وما غيرها إلا مثلها — ملفقة مؤلفة (كما ذكر كاتب فى مبحث فى مجلة أسبوعية قبل الحرب الملومة — من ثلاثة وعشرين جنساً ، منها العربي . وكل واحد من القوم يقول اليوم منتفخاً : أنا فرنسى ، أنا فرنسى . أنا ابن الغول (Gaulois) . وقد يكون (المقيم) فى تونس ووالى الجزائر والضيزن [2] الفرنسى فى المغرب الأقصى (مَرَّاكُش) المنكمشون [3] الجادون فى تثبيت دين محمد ... وإرساخ اللسان المبين ... فى الأقاليم المغربية — من قحطان . وقد يكون ظهراء (الظهير البربري) من قريش الظواهر أو من قريش البطاح [4] فهل نقول لهم : يا سلالة عدنان ، ويا فتيات قحطان ...

وبعد فالقصيدة عَلَوِيّة جارمية ، وعربية عُلْوية [5] والأستاذ الجارم أديب كبير ، و (عربي مصرى) كريم ، وما ظلم علىّ قومه العرب المصريين، ولكن القافية — والقصيدة على الباء — كانت من الظالمين ...

الاسكندرية

***

(١) (الفلحس) : الكلب ويوصف به الحريص . (الرباح) : القرد وهو بضم الراء وتثقيل الباء وتخفيفها . وقد حملتنا نفرة الناس من أسماء ذوى القربى على استعمال لفظين غريبين لهذين القريبين ...

(١) يقال : جعلت فلاناً ضيزنا لفلان وهو أن ترسل بنداراً — حافظاً — ثم ضاغطاً عليه ، وهو الآخذ على يديه دون ما يريده (الفائق)

(٢) انكمش فى سعيه وتكمش : أسرع (الأساس)

(٣) قريش الظواهر الذين نزلوا بظهور جبال مكة ، وقريش البطاح هم الذين نزلوا بطاح مكة : الشعب : بين أخشبيها : جبليها (اللسان)

(٤) غنى النعمان بشيء من دالية النابغة فقال : هذا شعر علوى أى عالى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد (الأساس)

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٧ —

« يجب أن يكون « الربح » آخر مايفكر فيه أصحاب المدارس الحرة ! ! »

« أترى تلك مدارس للتربية والتعليم ، أم هى مزيج من الفوضى والاضطراب ، والغش والخداع ، والحشو التافه والاعداد السقيم ؟ ؟ »

٧ — مثال سيء للتعليم الحر

أشرت من قبل إلى بعض نواحى النقص فى « التعليم الحر » ووعدت القراء بكشف ما أعلم من أسرار هذا التعليم فيما بعد ، وأنجز اليوم وعدي فى حدود تجربتي الماضية القاسية التى كنت فيها ناظراً لإحدى مدارس جمعية تعمل فيما تدعى للخير وكرم الأخلاق ! !

١ — وظيفة التعليم الحر

وأحسبك تدرى — قبل أن أتكلم — أهمية التعليم الحر فى بلد لا تستطيع معاهد حكومته أن تتسع لأكثر من نصف النشء الراغب فى التربية والتعليم ! بل أحسب أنك ترى معى أنه ما دام الأمر كذلك فيجب ألا تقل مدارس ذلك التعليم عن مدارس الحكومة ولاسيما فى الغاية النزيهة، والنظام المأمون، والكفاءة المنشودة . ولكن الأمر يا عزيزى كان وما زال على غير ما يجب أن يكون ! أو قل إنه ما يزال مضطرباً فى الكثير من هاتيك المدارس التى لم يؤسسها أصحابها إلا لتكون لهم تجارة رابحة قبل أن تكون للوطن حصناً وللتربية موئلا [1] . وهأنذا أخوض بك فى مثال سيء لهذه المدارس مؤكداً أن بعض ما به من شر موجود فى غيره وغيره من مدارس العواصم والمراكز ، وأنه لا يكاد يخلو من هذا الشر إلا مدارس تلك الجميات الخيرية

(١) وغير خاف عمل مدارس التبشير فى المراكز الصغيرة

المحترمة ، أو مدارس اولئك الذين للعلم عندهم كرامة ، وللخلق رهبة وجدارة !

٢ — مثالنا السيء

ويؤسفني كل الأسف أن أرى نفسي مضطراً — إزاء المصلحة العامة — إلى أن أصرح بهذه الحقائق القاسية التي لا تشرف هذه المدارس ولا ترضى أصحابها . وأعلم تماماً أن بعض هؤلاء الأصحاب والمديرين سيثور عليّ ، وسيحاول عبثاً أن يدافع عن نفسه وعن مدرسته بمختلف الأعذار وشتى الادعاءات . ولكن ما حيلتي وهذه الحقائق الصارمة الصارخة تعلن عن وجودها على لسان المدرسين والطلبة وأولياء الأمور جميعاً ؟ ؟

مثالنا السيء هو جمعية تعمل للخير وكرم الأخلاق كما قلت ، وتتخذ من بعض الشخصيات الكبيرة الساذجة أصناماً تتقدم بها للجمهور كيما يغفل عن أسرارها ومخازيها . وقد رأت هذه الجمعية أن المدارس من أربح الوسائل وأشرفها مظهراً ، فراحت تفتح منها ما تستطيع فتحه وتحشد فيها ما يزيد على الألف تلميذ وتلميذة ! ! فهل تدرى من يدبر أمور هؤلاء التلاميذ ؟ ومن يقوم بتعليمهم ؟ وأين تذهب أموالهم ؟

أما المدبر أو المدير كما يدعونه فهو رجل متعلم ولكنه عجيب الأطوار ، محب للسلطة والاستبداد ، سماع للأكاذيب والوشايات ، معتوه أو كالمعتوه ، لأنه سب يوماً أمامي وأمام التلاميذ جميعاً في (طابور) الصباح أستاذ الدين ورئيس « المطبخ » سبًّا مقذعاً بينما كان الأستاذ المسكين واقفاً وسط التلاميذ ، ولأنه أخذ هراوته مرة وجرى بها خلف خادم صغير على مرأى من بنات المدرسة وكن واقفات يتأهبن لسماع نصائحه الغالية في الفناء الكبير ! ثم هو فضلاً عن ذلك مادى جشع قد احتكر لنفسه إيراد المطعم والمقصف وتنظيف الأحذية لقاء ما يقوم به من إدارة بريئة وإشراف نزيه ! . وقد لا يكون في ذلك إثم كبير لولا ما يقدم للتلاميذ من طعام سيء ، ولولا ما يحملهم به على هذا الطعام وذلك التنظيف من ألوان العسف والامتهان والحرمان والتعنيف مما لا أول له ولا آخر (١)

(١) ولا نذكر هذه الحقائق إلا كمثال لأنواع الاستغلال المرذول في هذه المدارس ، ولأنواع الشخصيات التي لا تستطيع بحالتها هذه أن تنجح في كسب احترام المدرسين وعماد المدرسة

وأما المدرسون فهم مجموعة متنافرة يطغى فيهم العنصر غير الفني على الفني ، لأن فيهم راسب الكفاءة والبكالوريا أو حاملها مع فريق من سيدات ورجال التعليم الإلزامي ممن لم يجدوا عملاً في الحكومة فجاءوا إلى هذه المدارس الابتدائية الأهلية يلتمسون فيها عيشاً (١) . ويضاف إلى أولئك وهؤلاء واحد أو اثنان من الفنيين لإدارة حركة المدرسة بهذا « الطقم » العجيب الذي لا استعداد فيه للتعاون والعمل بتلك المبادئ التي اصطلح الناس على أنها أصول للتربية الصحيحة والتعليم السليم ! فماذا تريد بعد هذا وقد رأيت الرأس معتلاً والأعضاء خائرة منهوكة ؟ قل ماشئت من إرهاق لهؤلاء المدرسين ومن انتدابهم ليعملوا ككتبة في شئون الجمعية الخاصة والعامة . وقل ما شئت من تضافر القوى في الجمعية على امتهان المدرس ذى الكرامة وإحراجه بتلفيق التهم ونصب الأشراك . وقل ما شئت من تدخل المدير العجيب في الشئون الفنية الخاصة وصبغه للنظام العام بهراوته المضحكة وبشخصيته المادية المتناقضة وبميوله النهمة الغادرة ، حتى لتشعر أنك في عصابة أو مارستان . ثم قل أيضاً ما شئت من التظاهر أمام حضرات المفتشين بما ليس موجودا ، ومن وضع خزانات بغير ماء في المراحيض كدليل على النظافة وتوفية الشروط !! .

أما التلاميذ المساكين فما أقل ما يتناولون من الكتب والكراسات ! وما أكثر مايدفعون من الضرائب والاتاوات ! وما أشد ما يتحملون من الكلمات والضربات ! وما أخطأ ما يعاملون به من طرق لا تكوّن العقل ولا تبنى الشخصية ولا تهذب الشعور !

ستعجب مما أقول ، وستتخيل أنه إنما كان بالأمس البعيد ولا وجود له اليوم . وسأقول لك إني لمسته بيدى منذ عامين اثنين ولقيت منه الأمرين وخرجت ثائراً عليه عندما لم أقو على العيش

(١) ولا يزال في المدارس الثانوية الأهلية الكثير من غير الفنيين ، وأقصد بهم من لا يحملون دبلوماً في التربية والتعليم ، أو من يحملون دبلوماً لا يصلح للمدرسة التي يعلمون بها . والواقع أن مشاكل التربية الحديثة تتطلب الالمام الواسع بعلمي النفس والتربية لا مجرد التجربة التي لا يسندها دليل . ويخطئ من يظن أن كل حامل علم قادر على أن يكون مدرساً بالمعنى الصحيح . إذ لا بد هنا من تدريب كاف تحت إرشاد أستاذ قدير . لذلك كان الخطر من ازدحام المدارس الأهلية بغير الفنيين غير يسير ، وواجب الحكومة كما قلت هو أن تدبر لغير الفنيين أعمالا تناسبهم ، وتسلح جميع المدارس بالمعلم الكفؤ ، والوزارة سائرة في هذا الطريق ولكن سيرها لم يزل بطيئاً

فيه . وإذ كانت الوزارة قد خففت كثيراً من مثل تلك الفوضى بأعمال رقابة التعليم الحر فإن العيب لم يزل جسيماً ، ومجال التلاعب والعبث واسع عريض ، وممارسة التربية كفن صحيح سليم لا تكاد تتحقق فى هذه المدارس إلا فيما شذ وندر(١)

وقد تسأل بعد هذا عن تلك الأقوال الكثيرة التى تجنيها الجمعية من إعانة الوزارة ومصروفات التلاميذ ؟ وسأقول لك سل العمارات الشاهقة التى يبنيها المدير أو يفاوض فى شرائها . وسل المدرسين المساكين الذين يتناولون الأجر الضئيل ويشاهدون التضخم الهائل الشديد . وسل تلك الأبنية الرطبة القذرة التى يحشدون فيها التلاميذ بغير حساب !!

ثم ليت الوقت يتسع لأقص عليك طريف ما يحدث فى تلك الدور ، أو ليته يسمح بإخبارك أن الطلبة فى المدارس الثانوية الأهلية كالوحوش يرهبهم الناظر لأنه يبنى ما لهم ، ويخشاهم الأستاذ لأنهم لا يرهبون أحدا ؛ نعم ليته يتسع أو يسمح بذكر هاتيك المخازى الكثيرة التى أسمع عنها كل يوم هنا وهناك فحسبك اليوم ذلك ، وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية أخرى

(يتبع) **محمد حسنى ظاظا**

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

---

(١) والسر فى ذلك واضح . فغاية المدرسة هى الكسب لا التعليم ، وصاحب المدرسة يريد أن يستغل المدرسين والطلبة إلى أبعد الحدود . وكلما شعر المدرس بالظلم والارهاق احتقر صاحب المدرسة وتبرم بعمله وأداه على نحو ميكانيكى بحت . ولولا تدخل الوزارة أخيراً فى ضبط مرتبات المدرسين لظل أغلبهم لا ينال أجره كاملا

وأعتقد بعد هذا أن بعض المدارس التى تعطيها الحكومة إعانات سنوية تستطيع أن تستغنى عن هذه الاعانات تماماً بمصروفات التلاميذ ولكن مال الوزارة فيما يبدو كثير !

بين الرافعى والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٣ —

ثم ماذا ؟ ثم يقول الأستاذ سيد قطب فى ثالث أدلته على أحكامه : « يقول العقاد فى طرافة ودُعابة عن حِسان شاطئ استانلى !!

ألقى لَهُنّ بقوسه قُزحٌ وأدبر وانصرفْ
فلبسْنَ من أسلابه شتى المطارف والطُّرفْ

فلا يجد الرافعى فى هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول : فقزح لا يلقى قوسه أبداً إذ لا ينفصل منه . قال فى اللسان : « لا يفصل قُزَحَ من قوس » . فاذا امتنع فكيف يقال : « أدبر وانصرف » . أما قزح العقاد ، فلعل الخواجه قزح المالطي مراقب المجلس البلدى على شاطئ استانلى الذى قيلت فيه القصيدة

ثم يقول إن هذا المثال « فيه تلاعب وروغان ، وهو فى هذه المرة (التلاعب) أخسُّ من السابقة ، ففى الأولى كان تلاعباً بصور ذهنية ، وهو هنا تلاعبٌ بألفاظ لغوية ! »

أولاً ، فمن ذا الذي يغفُل عن طرافة هذا « الخيال » الذى يتصور « قُزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ، وهن يتناهبن هذه الأسلاب ، بينما هو مدبر منصرفٌ ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلبَ جمالهنّ جماله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة ، ومثل تلك الحيوية ! من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك ، هل يفصل قوس عن قزح أو لا يفصل ؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة فى معرض هذا الجمال !!

أهذا هو النقد الذى هو « أقرب إلى المثال الصحيح » ؟ وماقلته فى المثال الثانى يقال بنصه هنا ، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء

ثم يعود فيقول عن هذا المثال أنه يمثل « تلاعبه بالألفاظ اللغوية ، والوقوف بها دون ما تُشِعُّه فى الخيال من صور طريفة » انتهى كلام الأستاذ الجليل

***

ومن أعجب العَجَب أن يُعدّ اعتراض الرافعي ونقده هذا البيت تلاعباً بالألفاظ اللغوية، ولا يكون هذا الشعر نفسه قد بُني على التلاعب في غير طائل، وعلى تكلف اللفظ لترميم قافية البيت. وأول ما نقول في هذا أننا نخالف بعض رواة العربية ثم الرافعي في أن يلزم أحد هذا الحرفين صاحبه على كل حالة وفي كل ضرب من ضروب القول

وبيان ذلك أن لأصحاب العربية في هذا الحرف (قُزَح) ثلاثة أوجه من الرأي:

الأول: أن (قُزَح) اسم شيطان، أو اسم ملك موكل به

والثاني: أن (القُزَح) هي الطرائق والألوان التي في القوس، والواحدة قُزْحة

والثالث: أن يكون من قولهم: قزح الشيء وقحزَ إذا ارتفع قلت: وكأنهم أرادوا أن يجعلوه معدولا به عن (قازح)، وهو المرتفع

ففي الوجه الأول لا يضير أن ينفصل الحرفان؛ إذ كان (قوس) اسم جنس، و (قزح) اسم علم بعينه، وأضيف أحدهما إلى الآخر إضافة نسبة. فهو بمنزلة قولك (كتاب محمد). ومن هنا جاز أن يبدلوا تسمية العرب الأوائل فقالوا له: «قوس الغمام» و «قوس السحاب». ويقول ابن عباس رضي الله عنه: «لا تقولوا قوس قُزَح، فان قزح من أسماء الشياطين. وقولوا (قوس الله) عز وجل. وعلى هذا يجوز قول القائل: «ألقى قُزح قوسه» باضافة القوس إلى ضميره. على أن الشيطان، أو المَلَكَ الموكل بالقوس قد ألقى (قوسه)

وأما الوجه الثاني والثالث فلا يجوز الفصل معهما ألبتة على إرادة (الاسم) الذي تعرفُ به هذه الطرائق المتقوّسة التي تبدو في السماء. فان الحرفين على حالتهما ينزلان منزلة الكلمة الواحدة إذ ذاك. وللقول في هذا مجال ليس هنا مكانه ولا أوانه

ونحن نرى أن العقاد قد ذهب — وإن لم يرد ذلك — إلى الوجه الأول، وأن شعره يحمل على رأى جائز في العربية

هذا، وقد ذهب الرافعيُّ في نقد بيت العقاد إلى رأى أصحاب اللغة في امتناع الفصل بينهما، وأن الحرفين كالكلمة الواحدة على تتابعهما. وعلى ذلك لا يقال «ألقى (قُزح) قوسه» وأولى إذن ألا يقال إن (قُزَح) أدبر وانصرف، لأنه ليس بذاته يدُلّ على معنى، أو يقع اسماً لشيء بعينه؛ فهو إذن لا يجوز عليه الاسنادُ إسناد الخبر أو الفعل كالالقاء والادبار والانصراف. فأين التلاعبُ في هذا الرأى باللفظ اللغويّ؟ ولو قد كان وقع في بعض كلام الرافعي فصل أحدهما عن الآخر لأمكن أن يقال إنه يتلاعب باللفظ، ولكن ذلك لم يكن ... !

وأما الأستاذ العقاد فقد نقد رواية قمبيز في سنة ١٩٣٢، وجمل من ملاحظاته أن هذه الرواية «لم تخلُ من مخالفة للنحو والصرف في القواعد المنصوص عليها»، وأتى في هذا الموضع من نقده بما خطأ فيه شوقي، وليس بخطأ

يقول شوقي على لسان أحد المجان (ص ٣٢)

أَلْقَدَحا أَلْقَدَحا الخمرُ تنفي التَّرَحا
قصراً أرى أم فَلَكا وشجراً أم قُزَحا

ثم علق (شوقي) في الوجه (٣٢) نفسه فقال: «قالوا: إن قزح لا يفصل من قوس، ولكن الناظم لم ير بأساً في فصله لسهولته وكفاية دلالته» انتهى. ونحن نجيز هذا في العربية ولا ننكره

قال ذلك شوقي في التعليق، ثم جاء الأستاذ العقاد في كتابه (رواية قمبيز في الميزان) يقول ص ١٥ «... ويقول (قُزَح) ولا تذكر قُزَح إلا مع قوس». وبيّنٌ أن كلام الأستاذ العقاد ليس عربي العبارة، فإن أصحاب العربية منعوا (فصل) قُزَح من قوس، ولم يمنعوا (ذكر) قزح إلا مع قوس. والفرق بين اللفظين كبير. وبينٌ أيضاً أن هذا ليس نقداً فإن لم يأت بأكثر من تكرار ما ذكره شوقي في تعليقه، وكان الوجه أن يبين فساد رأى (الناظم) إذ لم ير بأساً في الفصل للعلة التي ذكرها

ومع ذلك ... فقد كان نقد العقاد في يونيه سنة ١٩٣٢، ولم تمض ستة أشهر أى في يناير سنة ١٩٣٣ حتى فصل العقاد نفسه بين (قزح) وقوس في شعره هذا !! فلعل هذا أن يكون بالتلاعب بالألفاظ اللغوية أشبه، وبتصريف النقد على الهوى أمثل.

وأما بيتا العقاد:

ألقى لهنّ بقوسه قزحٌ وأدبر وانصرف
فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف

فقد بنيا على ألفاظ يدفع بعضها بعضاً عن معنى يولده — من

لفظ (القوس) التى هى من آلات القتال. وكان سبيل التوليد هكذا: القوس من آلات القتال، واستعيرت للطرائق فى السماء مضافة إلى (قُزَح)، فيكون ماذا لو أنشأ من لفظ هذا القوس صورة للقتال بين (قُزَح) وبين جميلات شاطىء ستانلى؟ ويكون ماذا لو زعم أن الجميلات انتصرن على (قُزَح) صاحب القوس، فألقى سلاحه ثم أدبر وانصرف؟ ويكون ماذا لو جعل ألوان (قوس قزح) أسلاباً كأسلاب المحاربين فى القتال ظفر بها الجميلاتُ بعد انهزام (قزح)؟ ويكون ماذا لو زعم أنهن اتخذن هذه الألوان مطارف وطرفا يلبسنها ويتحلين بها؟ وهكذا

وهو توليد كما ترى وتوليدٌ من لفظ واحد. ونحن لا نرى بأساً — وإن كنا لا نرتضيه — أن يأتى الشاعر بالمعانى مولدة من ألفاظ اللغة، فان من بعض اللفظ فى العربية لما يُضرم الفكر ويُورث المعانى ويستفزُّ الخيالَ الى أعلى مراتبه. على أن هذا لا يتحقق إلا أن تستقيم الطريقة للفكرة، ويتراحب المجال للمعانى، ويسمو المدى بالخيال، على أن تصحَّ المقابلةُ بين معانى اللفظ وسائر الصور التى تتولد منه

والمقابلة فى هذا الشعر فاسدة باطلة. فهى مقابلة بين (قزح) وبين الجميلات على شاطىء استانلى، ثم بين الطرائق المقوسة ذات الألوان فى السماء (القوس) وبين ما ترتديه الجميلات من مطارفهن. وكان حق المقابلة أن يكون (قزح) هذا مشهوراً بالجمال موصوفاً به، حتى إذا ما ذكر فى معرض الكلام عن الحسان الجميلات تمت المقابلة بينه وبينهن. فإن لم يكن ذلك كذلك، فلا أقل من أن يكون في الشعر ما يدل على سبب (حالة الحرب) التى أنشبها الشاعر بين حسان شاطىء استانلى، وبين العم (قزح)، ثم ما كان من علة لالقاء سلاحه ثم انهزامه وإدباره

فأما إذ لم يكن (قزح) جميلاً، ولم يأت الشاعر بسياق جيد لهذا التوليد، فقد بطلت الأفعال التى أسندها إلى (قزح) من إلقاء قوس وإدبار وانصراف، وما أضافه إليه من الأسلاب، وصار كله لغواً لا فن فيه. وهذا الضرب خاصة من ضروب الشعر الذي يتضمن التصوير والوصف لا يأتى جيده إلا على دقة الملاحظة، وتقدير النِّسب بين الألفاظ والمعانى والصور. فلو اقتصر الشاعر لجعل (قزح) يهدى إلى الحسان تحاسين قوسه، فاتخذن منها (شتى المطارف والطرف) لكان أجود وأقرب إلى الاتقان. أما إعلان الحرب بينهما فليس جيداً ولا براعة فيه كما رأيت

وقد أجاد ابن الرومى — ويقال إنها لسيف الدولة — إذ يقول:

وقد نشرت أيدى الجنوب (مطارفاً)
على الجو دُكناً، والحواشى على الأرض
يطرِّزُها (قوس السحاب) بأصفر
على أحمر فى أخضر وَسْط مُبْيَضِ
كأذيال خَودٍ أقْبَلَتْ فى غلائل
مُصَبَّغَةٍ والبعض أقصر من بعض

وهو قريب جيد فى الوصف

ونحن لا نذهب مع الأستاذ قطب فيما يتخير من اللفظ لوصف هذا الشعر وما فيه، بذكر (الطرافة) و (الدعابة) و (الخيال) و (الحيوية) و (معرض الجمال)، وما إلى ذلك من ألفاظ لو أقيم ضدها مكانها لقام، إذ كان لا يبين أسبابها ولا يوجه معانيها ولا يأتى كلامه فى مثل ذلك إلا على طريقة صاحب كتاب (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) إذ يقول: «أولا فمنذا الذى يغفل عن طرافة هذا «الخيال» الذى يتصور «قزحاً» ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ... الخ»

وقد وضح الآن أن ليس فى كلام الرافعى تلاعب بالألفاظ اللغوية، وأنه ليس فى هذه الألفاظ ما يجعلها «تشع في الخيال صوراً طريفة»، وذلك لما ذكرنا من تخالف ألفاظها وتدافعها وبُعد صورها عن جودة التوليد، إذ كانت هذه الصور مولَّدة من اللفظ على غير نسق متصل أو طراز جميل

ثم .. أتى الأستاذ قطب بالمثال الرابع فقال: «ويسمع العقاد صيحات الاستنكار لهو الشواطىءْ، وما تعرض من جمال، فيصيح صيحة الفنان الحى المعجب بالحيوية والجمال:

عيد الشباب، ولا كلا م، ولا ملام، ولا َخرف

فاذا الرافعي يقول: «إن غاية الغايات فى إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن فى هذا البيت غلطة مطبعية، وأن صوابه:

عيد الشباب، فلا كلا م، ولا ملام، (بلا قرف)!

ثم يقول بعد إن هذا المثال يغنيه الرافعي عن الحديث فيه

« فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استغلق دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الحي، الموكل بالجمال حيثما وجد، وكيفما كان ، الهازئ بخرف التقاليد ، وقيود العُرْف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا قرف » وهو قول لا تعليق لنا عليه »

ثم يعود فيقول : إن هذا يمثل هروب الرافعي « من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — في رأيه — بنكتة أو تهكم أو شتيمة »

وأنا لا أعجب لكلام الأستاذ سيد قطب ، لأنه على طريقته في حل المنظوم ، وإن أعجب فعجبي لصاحب « وحي الأربعين » كيف ارتضى أن يثبت البيت في قصيدته ، وفي عقب هذه القطعة بالذات ، وينتقل من الوصف والتأمل وإمتاع النظر ، وإمداد الفكر بأسباب من الجمال ، أو كما يقول الأستاذ قطب من الطرافة والدعابة والخيال والحيوية ! إلى صيحة الاستنكار والتفزع بقوله: « فلا ملام ولا كلام » ثم الغضب الذي لا يتورع في قوله : « ولا خرف». إن هذا الانتقال ليس من منطق الفن ولا من نهجه وسبيله

وما أظن الرافعي أراد أن ينقد البيت — لأنه ليس بسبيل مما يحسن أن يُنقد ، وإنما وضعه هكذا للعقاد وهو يريد ما قلناه في كلمتنا الأولى مما جرّته العداوة التي اضطرمت بينهما

* * *

وبعد فقد قرأت كلمة الأستاذ الجليل المهذب سيد قطب في البريد الأدبي من العدد السالف من الرسالة ، وقد أعلن فيها بعض رأيه فيما نكتب ، وحكم بحكمه على ما قلناه ، وحاول أن يتهكم ، ووعظ وذكر . ونحن ندعه لما به عسى أن يرى يوماً غير هذا الرأي، وله الشكر أحسن أو أساء

محمود محمد شاكر

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٤ —

الآن تحدث الأستاذ شاكر — حديثاً ما — في الموضوع الذي نحن بصدده ، وإن كان حديثاً « رافعيا » على الطريقة التي بينت ما فيها من استغلاق وقصور، ولكنه على أية حال شيء غير اللمز والتعريض — وإن لم يخل منهما — فالآن يستطيع الانسان أن يلقي باله إلى هذا الذي قيل

ولما كانت لي بقية من حديث عن الرافعي، فسأجعل نقاشي مع الأستاذ شاكر ، بقية لهذه البقية في كلمة أخرى

وعدت أن أعرض من أساليب الرافعي نماذج غير ما عرضت تأخذ في نهج آخر ، ولكنها تصل إلى الهدف الأول ، من إثبات طبيعته كما عرفتها ، بالنماذج والأمثلة

وأنا ماض في طريقي هذا ، لا يحولني عنه ما يبدو من بعض أصدقاء الرافعي من تعريض أو إثارة ؛ ولن يستفزني ما يكتبون فأحيد عن نهجي الهادئ

وطريقتي في هذا الموقف أن الرافعي قد مات ، وله نوع من الأدب ، فسأناقش أدبه هذا ، وما يدل عليه من نفسه وذهنه نقاش الناقد المطمئن لما يقول

وله أصدقاء أحياء ، فسأناقشهم حسبما يكونون هم : نقاداً أو متهجمين . ولن أخلط بينه وبينهم في الحساب ، فلا ذنب للرجل فيهم ، ولا تبعة عليه بعد موته فيما يصنعون !

تلك طريقتي . وهي ترضيني ...!

* * *

قلت : إن الرافعي أديب الذهن ، ولكنه الذهن الملتوي المماظل المداحل . واليوم أقول هذا ، وأزيد عليه : أنه « الذهن الشكلي » الذي تلهيه الأشكال والسطوح عن الكنه والأعماق ، والذي لا يلمح فرقاً بين صورة وصورة ، ما دام ظاهرهما متشابهاً . فإن أراد أن يطبق أمراً على أمر ، أخذ في قياس الزوايا والخطوط ولم يلق باله لحظة إلى ما في طبيعة كلا الأمرين من خلاف أو زيادة ونقص في بواطن الأجزاء . وإليك البيان :

« القمر » كوكب لا يشرق إشراقه إلا في الليل والظلام ،
و « الحبيبة » تعود الناس أن يشبهوها بالقمر
و « هي » لا تشرق إشراقها إلا في إبان « الحب »

فاذا شاء الأديب أن يعقد من هذه الأطراف تشبيهاً ، وجد قمراً يشرق إذاجن « الظلام » ، ووجد حبيبة تشرق إذا « توهج الحب» فكان لا بد له من التصرف في التشبيه

ولكن الرافعي لا يتصرف ؛ فما دام القمر يجلوه الظلام ، فالحب إذن « ظلام » لأنه يجلو حبيبته ، وسينساها متى انقطع عهد الحب وتختفي من أفقه ، كما أن القمر يخفى إذا طلع الصباح . وهكذا يقول :

يا من على الحب ينسانا ونذكره   لسوف تذكرنا يوماً وننساكا
إن « الظلام » الذي يجلوك يا « قمر »
له « صباح » متى ندركه « أخفاكا »

فأما البيت الأول فأخوذ عن العقاد الذي لا يعجب الرافعي شعره ! وأما الثاني فهو الذي يعنينا . وفيه ترى « الذهن الشكلي » الذي يستسيغ أن يجعل فترة الحب « ظلاماً » كالليل ، وفترة انقطاعه « نوراً » كالصباح ، لا لشيء إلا لأن القمر المشبه به يشرق في الليل ويخبو بالنهار

والحب الذي هو ظلام ، لا يحتاج للتعليق ، فما يوجد حب في الدنيا تظلم به الأرواح ولكن الرافعي هكذا يقول ... !

وليست هذه خطرة عابرة تلتمس لها الأعذار فان لها أشباهاً في هذه « الخاصية »

يقول الرافعي عن « حبيبته » بعد عدة جمل مملوءة بقياس الأبعاد والجهات والزوايا :

« فكأنها في كل ذلك دائرة مرسومة من الفكر ، لا يهديك البحث إلى موضع طرفيها وهي محيطة بروحك من ثلاث جهات ، فلم يبق لك إلا الجهة التي تتصل روحك منها بيد الله »

فدعك من مدلول هذا الكلام وقيمته من « إنسان يحب » أو « يصف الحب » ؛ ودعك من أنه كلام ذهني لا ينبض بحياة ، ولا يدل على خلجة في الشعور ، أو نبضة في الضمير ، ولا يتعدى أن « متكلماً » يصور في « الذهن » أشكالاً تقع أو لا تقع ، ولكنها يمكن عقلا أن توجد ، كفروض المناطقة

دعك من كل هذا ، وتعال انظر كيف يتصور الرجل العوالم الروحية ، أو العوالم الذهنية ... إنه يتصور لها جهات . ولا بد أن تكون هذه الجهات أربعاً كالموسومة في علم الجغرافيا بالجهات الأصلية ، وإنه متى أحيط الانسان بثلاث منها فلن تبقى له إلا واحدة وهي الجهة الرابعة !

ولا يتأتى له أن للحياة — ولا سيما في فترة الحب — ألف جهة وألف منفذ ، وأنها تؤتى من هذه الجهات والمنافذ ، ومن مسارب أخرى ومنعرجات وكُوّى ومداخل لا عداد لها . لأن الذي يتأتى له ذلك لا بد له من « نفس » ، ومن « حس » . أو لا بد له على الأقل من « ذهن » مشرق مرهف ، لا تحده الأشكال الصماء

على أن هناك خطأ نكشفه من باب الدعابة ، « فالدائرة » ليست لها أربع جهات كما تصور الرافعي ، حتى إذا أحيط الانسان من ثلاث لم تبق إلا الرابعة ، إنما يكون ذلك في « الأشكال » الأخرى ، كالمربع والمستطيل ! !

وبسبب من هذا يأخذ قوله عن الناس :

« وألبسهم على تفصيلهم قصاراً أو طوالا ، كما خرجوا من شق المقص : المجتمعين من الليل والنهار تحت مسمار الشمس »

أرأيت إلى « استيفاء الأشكال » في التشبيهات ؟ الليل والنهار كالمقص ، في تفصيل الناس قصاراً وطوالا ... لا بأس ! ولكنه تذكر أن للمقص المستعمل « الآن » مسماراً في وسطه فلا بد إذن من «مسمار» في المشبه ! وهذا المسمار هو الشمس . وبذلك يتم « الشكل » بالدقة بين عمل المقص ، وعمل الليل والنهار ، وبين تركيبه ، وتركيبهما مع الشمس كذلك !

ولن يخطر على بال الرافعي أن الليل والنهار تحت الشمس من الظواهر الأزلية العميقة ، وأن بناءها هكذا عمل سرمدي دائم من بدء الخليقة إلى نهايتها . أما بناء المقص فهو شكلي وقتي ؛ ليس بلازم أن يكون هكذا أبداً ؛ كما أنه ليس بلازم أن يكون « التفصيل » بأداة واحدة هي المقص وهي على هذا الشكل ؛ وما بين يوم وليلة تتغير الأدوات والآلات ؛ فما تكون الشمس إذ ذاك ؟

لا . لا شيء من ذلك يخطر على الذهن ، ما دام الشكل مستوفى بكامل أجزائه وأوضاعه . وتلك هي العناية بتصوير الحقيقة

الوقتية العارضة دون التفات إلى الحقيقة الأزلية الدائمة . وهذا ما أشرت إليه فى أول مقال !

ويبدو لى أن الرافعى كان شديد الأثر فى تلاميذه من ناحية « الأشكال » ؛ فها هو ذا الأستاذ سعيد العريان يكتب عنه فى كلمته الأخيرة بالرسالة فيقول :

« فكان يرسل عينه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويلقى باله إلى كل محاورة »

فهو قد أراد بهذا أن يستوفى جميع أشكال التنبه والاستيعاب دون أن يلاحظ الصدق والواقع وما يمكن تحققه من هذه الأشكال بالنسبة لمن يتحدث عنه . ذلك أن المرحوم مصطفى صادق الرافعي لم يكن « يمد أذنه وراء كل حديث » كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته فى التنبه والتأمل ، فكان من « الصدق » ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب . غير أن حب استيفاء جميع الأشكال والفروض هو الذى يدفع الأستاذ سعيداً إلى هذا التفصيل

وليس ذلك بقليل الدلالة على هذه الظاهرة فى مدرسة الرافعى ؛ وما قصدت بإثباتها أن ألمز الرجل كما قد يفهم بعض ذوى الطبائع المنحرفة ، فأخلاق — على الأقل — لا تسمح لى باللمز ، ولكننى أردت إثبات الظاهرة فى أحد تلاميذه ، بفلتة عارضة غير ملتفت إليها ، وهى عميقة الدلالة على اتجاه المدرسه كلها

***

وقد أسلفت أننى تلقيت نبأ « حب الرافعى » بكثير من الدهشة لأن « الحب » يتطلب « قلباً » وهو ما كنت أفتقده فيه

والآن أقول : إننى بعد أن فحصت عن هذا « القلب » فى « رسائل الأحزان » لم أجد له ظلا ؛ ثم وجدت هنالك رجلا لا « يفهم » عن الحب شيئاً ، ولا يدرك أثره فى « النفس الحية » ولو من باب الدراسة والملاحظة

وإليك البرهان :

ليس أدل على الجهل بطبيعة الحب من تصوره ظلاماً كما مر وهو النور المشرق الذي يفتح النفس والذهن والعين على عوالم لا عداد لها ولا شطآن . فاذا جاز أن نقول من باب الدعابة : إن التشبيه هناك كان أعز على الرافعى من الحب ، وإن « الصنعة حكمت » كما يقولون ! فكيف نقول فى تشبيه الحب بعد ذلك بالموت حين يقول :

« ولكن هناك موتاً لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ، بل من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر ... وهو فى أسرار الانسانية عكس ذلك (الموت) لأنه أظهر ما خفى وهو الحب »

فما معنى أن الحب « موت عكس الموت ؟ » وأنه لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ولكن من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر ؟ ألعب بالألفاظ أم « شقلبة » فى الأشكال ؟ وعلى أية حال فأين الحب فى كل صوره وأشكاله ، من الموت فى كل صوره وأشكاله ، حتى يسوغ لإنسان أن يجد وجهاً للشبه بين هذا وذاك ؟

إن الحب من صميم الحياة بكل ذراته وآثاره ؛ ولن يكون موتاً أبداً ، لا فى الخارج ولا فى الضمير . وألف سفسطة فى التخريج لا تفسر اقتران الحب بالموت فى « ذهن » من الأذهان !

ويقول :

« وما من أحد فى الأرض يستقيم طبعه على الجمع بين هم الحب وهم الحياة ، فان قام بواحد زاغ من الآخر لا يبالى به ، إذ هما حقيقتان متدافعتان ، كتيارى الكهرباء ، لو أمكن شىء من المستحيل ، لما أمكن أن يطردا فى سلك واحد ، اطرادهما فى السلكين »

هذه قولة الرافعى وهى دليل لا ينقض على أنه لم « يحس » الحب فى حياته ، ودليل كذلك على أنه لا « يفهم » إحساس الحب فى سواه ، ولا يحسن تعليل ظواهره وتفسير دوافعه ، ككل ذى ذهن مشرق مستقيم

هو يرى أن الذى يحب يستخف بهموم الحياة ، حتى يخيل اليه أنه نسيها . فيفهم من ذلك أن هم الحب قد طرد هم العيش ، لأنهما متناقضان متدافعان . وذلك فى « الظاهر » وفى « الشكل » صحيح

ولكن الحقيقة الباطنة أن الحب يضاعف القوى الباطنة ، ويفسح فى الحياة ، ويعمق جوانبها ، فتخف تبعا لذلك على النفس هموم الحياة ، حتى يخيل لصاحبها ذاته أنه ينساها

فليس عن تضاد بين الهمين ولا تدافع ينشأ هذا الشعور ، ولكن عن فسحة فى النفس ، وقوة فى الحس ، لا تضيق ولا تتبرم بهموم الحياة ، لأن النفس أصبحت أكبر وأرحب منها ، فلا تحس بها . وكل شىء نسبي بين القوة والمقاومة

وهذا هو التعليل « الانسانى » والتعليل « النفسى » الذى لا يدركه أدباء الذهن الكليل . ومن هذا النحو قوله :

« فإن فى كل عاشق معنى مجهولا ، لا يحده علم ، ولا تصفه معرفة ، وهو كالمصباح المنطفىء ينتظر من يضيئه ليضيء ، فلا ينقصه إلا من فيه قدحة النور ، أو شرارة النار . وفى كل امرأة جميلة واحدة من هذين »

فهكذا يتصور الرافعي أن الحب عند تهيئه للحب ، يكون كالمصباح المنطفىء الخامد الهامد،وقدحة النور أوشرارةالنار ، إنما تأتى له من « الخارج » وليست كامنة فى « ضميره » . وهذا التصور يتمشى مع خواء الرافعي وسطحيته

أما الحقيقة الروحية التى يفهمها ذوو « النفوس » فهى أن الحب فيض في النفس ، وامتلاء فى الشعور ، يحس معه الانسان أنه بحاجة إلى صلة إنسان آخر ، لكى يفيض على هذا الانسان من القدر الفائض فى نفسه ويعطيه مما يزخربه شعوره ؛ فالمصباح حين التهيؤ للحب لا يكون منطفئا خامدا هامدا بل يكون موقدا مشرقا يبحث عمن يفيض عليه من نوره ، ويبذل له من اشراقه ووميضه . وحقيقة أن « الجميلة » التى يصادفها إذ ذاك تزيد فى اشراقه وتوهجه ، ولكن كما يزيدالزيت فى لألأة المصباح الموقد ، لا كما تصنع الشعلة فى المصباح المنطفىء

وهذا هو الحب فى الحياة ، أما الحب في « الذهن » وحده فقد يكون ذاك !

* * *

والرافعي في زحمة الحب ، وفى فيضه وانبساطه ، لاينسى عالم الحقد الضيق ، ولارقعة الغيظ المحدودة ، فتلمس فى كلماته ونبراته صوت تضريس الأسنان من الحنق ، وتنزى الأعضاء من الضغن ، وذلك شأن غريب

نعم غريب ، فقد كان مفهوما أن يبلغ به الضغن والحقد على العقاد أن يحجم عن شراء « وحى الأربعين » كما حكى تلميذه العريان ، ولكن الذى لا يفهم أن تلازمه طبيعة الحقد وهو فى معرض الحب . والحقد تيبس فى الشعور

ومن أراد أن يعرف أهم أسباب الحقد فى نظر الرافعي ، وأظهر دوافعه ، فليعلم أنه فوقان إنسان على إنسان في النتاج الأدبى ! ولعل هذا سبب ما بينه وبين العقاد ! فهو يقول عن « حبيبته »

« ولو أن الله مكنها من لغة كتابه الكريم ، لنص منها فى هذا الشرق العربى كل كاتب وكاتبة غصة لا تساغ ولا تتنفس »

أى لو أن هذه المرأة كانت متمكنة من دراسة اللغة العربية لما كان الأثر الذى تخلفه فى نفس كل كاتب وكاتبة بلا استثناء إلا الغصة التى لا تساغ ولا تتنفس

هكذا لا تسمح طبيعة الحقد الأصيلة أن تتصور أن إجادة الأديب تهيئ له معجبين بأدبه ، أحباء اليه ، كلا ، بل لا بد من الغصة فى صدورهم . وأية غصة ؟ هى التى لا تساغ ولا تتنفس ...

وهكذا كان الرافعي مع العقاد !

إن فلتات اللسان ، تظهر كوامن الانسان ؛ وهذه فلتة كشفت عن الرافعى فى أعماقه ، وأرتنا أهم عناصر حقده ، ولكنها ليست الوحيدة فاسمعه يقول :

« نصيحتى لكل من أبغض من حب ، ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذين الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فانها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه »

أرأيت ؟ ... إن الحبيبة بعد انقطاع الحب ، لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له ، وغيظه لها ! ولا شىء وراء ذلك !

أما أن تكون معلقة بالذكريات المختلفة الألوان ، وبالساعات والدقائق والثوانى التى ضمتهما فى عمرهما ، وبالآمال المحطمة فى قلوبهما ، وبالفجيعة الدامية فى حبهما ، وبالصور المتعاقبة من إقبالها وإدبارها ... ومن . ومن . مما لا يستطاع حصره بعد أن تهدأ فورة الحب فى النفس ، ويأخذ الحب في الاستعادة والتذكر والاحصاء والتسجيل — أما كل ذلك فلا وجود له عند الرافعي.

وإنما يوجد خيطان اثنان من نسيج واحد ، هو نسيج الغيظ والغل والحقد ، والتيبس فى الشعور !

* * *

وبعد فقد طال الحديث ، ووراء هذه الأمثلة التى ضربتها ، أمثلة أخرى من نوعها ، وفى كل صفحة من الكتاب أمثال غيرها فلا داعى للتكرار

على أن هناك حديثاً عن « ذوق الرافعي » فى التعبير وذوقه فى النقد وموعدى به كلمة أخرى

(حلوان) سيد قطب

نزاهة النقد

للأستاذ عبد الفتاح غندور

رأينا ما كتبه الأساتذة خصوم الرافعي وأنصاره فسرنا أن نلتمس النقد وساءنا أن نجد ما لا يرضى . وما كان لمثلي أن يلج هذه المعركة ناقداً أو حكماً قبل أن تنتهي لئلا يفوتني شيء من مواقفها فأصدر عن جهل فيما أحكم وأقايس ، فأقع في ألسنة النقاد وأقلامهم ، ويالها من ورطة حامية الوطيس إذ ذاك . غير أني آثرت الإقدام إذ وجدتني مضطراً — بعد تفكير — لتقديم رأيي قبل أن تنتهي هذه المعركة ، ويلوح لي أنها لا تنتهي ، لعلي أصل إلى بعض ما يمكن أن يصل إليه حكم عدل وناقد بريء . فأقول :

قبل كل شيء يجب أن نعرف أن كل إنسان يستطيع أن يسيء وليس كل إنسان يستطيع أن يحسن . وإذاً فلا يصح أن يعتبر السوء يوماً ما أداة لمفخرة أو تكأة لمكرمة ، لأن الناس كلهم فيه سواء ولأنه سوء أيضاً ؛ وعلينا أن نتوسع في معنى السوء — كما نتوسع في معنى الحسن — ولندرك جميع شظاياه التي تفتك وتؤذي . وإذا توسع الأديب في ذلك أدرك الخطر وتسنى له أن يطير — كما يطير في كل مجال — إلى خيالاته العذبة ليفصل على جسم هذه الحقيقة ثوباً يليق ، حتى إذا مارأى حقيقة ماثلة بثوبها الخيالي الفخم أعطي كل شيء حقه ثم اهتدى إلى أن هذا الضرب من المعاملة الخشنة لا يجدي ولا يفحم ، بل يؤذي ويؤلم ، ولا سيما إذا كان مصدره الأدب والأدباء والنقد والنقاد

عاش الرافعي ليكتب أدبه ثم يموت ؛ وقد أراد الله للرافعي أن يكون في هذه الدنيا عجباً ، وشاء أن يجعل أدبه نسخة عجيبة لم ينسج على منوالها قلم لتكون مشكلة من المشاكل التي يختلف عليها الناس فيذهبون في تأويلها مذاهب شتى ، وللناس مذاهب فيما يعشقون

أما الرجل فقد مات ، وأما أدبه فموجود ، وأما آراء الناس فيه فكثيرة ؛ ويعجبني التقدير للجهد والاحترام للأدب والإنصاف في النقد والحسن في الخلق . وإذا تم للرأي هذا القانون الكامل أصدر عن روية ونقد في نزاهة وسبر غور الموضوع كالطبيب الماهر الذي يعرف كيف يحتال للجراحة وتفاصيلها ليصح المريض على يديه لا ليموت . وبعد ما مات الرافعي جعلت أرقب أقوال الناس ، أرهفت أذني وأيقظت نفسي ؛ وكان أن كتب الزيات وغيره مقالاتهم في هذا الشأن فجثمت لقراءتها والتأمل فيها فاجتمع لي بعض الرأي ، وأعقب ذلك فترة طويلة كان العريان فيها يكتب تاريخ الرافعي . على أنني كنت أرقب حلول مفتتح هذا العام لأقرأ مقالات الأدباء بمناسبة مرور عام على وفاته ، فظفرت في الرسالة بمقالة عنوانها « بين الرافعي والعقاد » للأستاذ سيد قطب فالتهمتها التهاماً ؛ ثم عدت مرة أخرى أروي تأملاتي فيها فلذ لي من الأستاذ أدبه وذكاؤه وصراحة ضميره ، وتمنيت أن لو ضم إلى ذلك حسن المواجهة ولين المجابهة تجاه أخيه الأديب الذي هو شريكه في الشعور والفكرة والقلم . وأخذت أفكر في حسن هذه المواجهة وكيف يجب أن تكون ؛ وقلت ما كان ضره لو قال قولاً أرق وأحسن وأدعى لحرية النزاهة : ياليته ويا ليته ...

وأستميح الأستاذ أني كنت أخذت عليه ما كتب كما أخذت على الأستاذ محمود محمد شاكر ما أملاه في الرد أيضاً ، ولكنه معذور بعض العذر لأن الجروح قصاص . ولو كتب الأستاذ شاكر رداً جميلا أرق مما كتب فهل كان الأستاذ قطب يستمر ويزداد في غلوائه يا ترى ؟ ولا أدري هل يحتجني الأستاذ شاكر بأن الأستاذ قطب قد شن الغارة دفعة وغلا ثم غلا وتحدى أصدقاء الرافعي فكان لزاماً أن تحفظ كرامة الرجال وكرامة الشعور فرددنا عليه بما يلائم المقام ؟

وهنا يجدر بي أن أذكر ما كان وقر في نفسي تجاه أستاذي الكبير « الزيات » حفظه الله عند ما كتب الأستاذ قطب حديثه هذا ... ليغفر لي سوء ظني على رغم أن لي مندوحة عن هذا الغفران بالتوبة المستورة ، ولكن الأديب يلذ له إظهار مايخفيه الناس . قلت في نفسي كان يحسن بأستاذنا أن يعتذر من نشر مقال الأستاذ قطب أو يكتب له كلمة على الأقل في هذا المعنى يبين له فيها وجه

الأجحية وحسن الاختيار فى العدول عن هذه الخطة لا حباً للرافعى ، ولا بغضاً للأستاذ قطب ، بل تحرياً للأولى واحتياطاً لما سينجم عن ذلك كله. ولما صدر العدد ٢٥٣ والعدد ٢٥٤ وقرأت مقالى الأستاذ الزيات عن الرافعى أخذتنى — والله — هزة الطرب ونشوة الأدب لما فيهما من الصفاء النقدى النزيه الذى لا تشوبه ثورة ولا تخالطه كدرة ، حتى لكأن هذين المقالين صورة روحية للرافعى لو صُبتا فى قالب الحياة لكانتا هما الرافعى نفسه. لا تؤاخذنى ياصاحب الرسالة فيما رميتك من سوء الظن. وما كنت أدرى أن سماءك الصافية ستتدفق وابلا من الخير والجمال والحياة تعلمنا فيه — معاشر المتأدبين — كيف نرتع فى رياض الأدب الجميل الذى لا تصلح له إلا ملائكة السماء أو ملائكة الأرض ليكون مثلا أعلى للناس دائماً

ما ذا يضيرنى إذا قلت للمخطئ «إنك مخطئ» بدلا من أن أقول له إنك غبى ... بليد ... لا، بل يجب علىّ — وأنا أديب — أن أحتال فى إفهام المخطئ خطأه من غير أن أصارحه به ما دام هناك شعور رقيق وإحساس مرهف. وما دمنا نحمل بين جوانحنا الانسانية المتأدبة التى تحتّم علينا الاحسان والرفق والمودة فلن نجد إلى غيرها سبيلا

أرأيت ما الذى أثار الرافعى والعقاد تلك الثورة المشهورة؟ أليس رضاء النفس والشهوة والكبرياء بما حصل ، أليست تلك زلة الانسانية التى ابتلى الله بها البشر ؟

آه ! ما أحوجنا إلى أدب صاحب الرسالة عسى أن نلتقى جميعاً ذلك اللقاء المحبب ونضم تلك الأجنحة بعضها إلى بعض لتطير فى آفاق الجمال واللذة والنور وندخل فى عالمنا الحافل الملىء بأعاجيب السحر وأناشيد الخلود ، ذلك خير مستقراً وأحسن موئلا

وأخيراً أرجو الأستاذ قطب أن يُحسن بى الظن ما استطاع ، وألا يظن أنى قصدته وحده فيما كتبت . إن ذلك عام ما خصصت به أحداً ، وإنما كان الأستاذ قطب السبب فى ذلك ليس غير ، فله شكرى وأخوتى ومحبتى هو وإخوانه الأدباء

« دمشق » عبد الفتاح غندور

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

طال انتظاري ولم ترجع ظمياء

وانقضى مساء وصباح ، ومساء وصباح ، ولم ترجع ظمياء

ومضت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال ولم ترجع ظمياء

وتقلبت دجلة من حال إلى أحوال ولم ترجع ظمياء

وطافت بالأشجار والأزهار والرياحين أطياف البؤس والنعيم ولم ترجع ظمياء

وطوّفت بجميع المعانى ، وتذوّقت صنوف اللواعج ، وتشوفت إلى جميع المطالع ، ولم ترجع ظمياء

وتلقيت مئات الرسائل فلم تكن من بينها رسالة عطف أو اعتذار من ليلى أو ظمياء

أيكون هذا آخر العهد بليلى وظمياء ؟

إنى إذاً لمن الهالكين . كتب الله لوطنى وأهلى جميل العزاء !

* * *

ولكن ما السبب فى هذه القطيعة الباغية ، وما أذكر أنى أسأت أو جنيت ؟

أيكون السبب تلك الكلمة الفكاهية التى داعبت بها ليلى بعد رجوعى من البصرة ؟

ربما كان ذلك ، فالمزاح كان ولا يزال من أشنع البليات ، وما استطاع إنسان أن يجرح قلبى إلا عن طريق المزاح. والأحباب ينسون واجب الأدب فيتطاول بعضهم على بعض باسم المزاح ؛ وذنبى فى هذه القضية غير مغفور ، لأنى انقطعت لدراسة الفلسفة عدداً من السنين ، وكان الظن أن أفهم أن المزاح على لطفه لا يخلو من أشواك ، وقلب ليلى رقيق تؤذيه خطرات النسيم ، فكيف لا يؤذيه المزاح ؟

لو رجعت إلى ليلى لأحسنت الاستغفار من ذنبى ، ولكن متى أرجع ؟

لقد داعبتنى ليلى ألف مرة فتقبلت دعاباتها بأحسن القبول ،

وكنت لجهلي أحسب أن ليلى سيرحب قلبها لمثل ما رحب به قلبي

فكيف أخلفت ظنوني يا مُنية النفس ويا روح الفؤاد ؟

ماهذا ؟ أنا داعبت ليلى قبل ذلك فلم تغضب ، فكيف تكون الدعابة الأخيرة بداية البؤس ونهاية النعيم ؟

إن من واجبي نحو هواي أن أدرس هذه القضية حق الدرس

وقد بدأت أفهم أن كلام الجرائد والمجلات أفسد ما بيني وبين ليلى كل الإفساد ، فقد مضت الشهور الطوال والجرائد تهتف باسمي في الصباح والمساء ، وظن الأدباء العراقيون أن الفرصة سنحت لتصفية ما بيني وبينهم من حساب ، وكنت أقرأ ما أقرأ وأنا أبتسم . كنت أقول : هذه يقظة أدبية واجتماعية أردّ بها ديوني إلى العراق . كنت أقول : هذه أقلام صدئت وقد حان لها حين الصقال ، فليكن أدبي هو ذلك الصقال

كنت أقول وأقول ، ولكن التفكير في جوهره غير سليم

ما الذي كان يمنع من دفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ؟

ما الذي كان يمنع ؟ كنت مشغولا بواجبات ثقال تكاد تقصم ظهري . ولكن هل تفهم ليلى أني مشغول وأن لي منهجاً يفرض ألا أخرج من بغداد إلا وفي حقائبي خمسة مجلدات ؟

ينبغي أن أعترف بأن مركزي بين الأطباء لم يتزعزع بسبب الأدب وحده ، وإن كانت حرفة الأدب قادرة على زعزعة العروش ، وإنما وقعت النكبة وتقوضت عيادتي بشارع المدابغ وعيادتي بشارع فؤاد لعدم اكتراثي بما يكتب في الجرائد ، وعدم اهتمامي بما يتقول الناس

وأصل البلية أني كنت أحسن الظن بعقول بني آدم — وهذا أعظم خطأ ارتكبته في حياتي — فقد كنت أظن أن الناس يميزون بين الحق والباطل فيما يقرأون ؛ وكنت أتوهم أن أكاذيب المفترين لا تضرني ، فكنت أقرأ ما يكتب عني بلا اكتراث ، وأقول : هذه مفتريات ليس لها أساس ، وما قام على غير أساس فمصيره التهدم والزوال

وظل الحال على ذلك بضع سنين وأنا أصمّ أذنيّ عن الأقاويل والأراجيف إلى أن دخل عيادتي مساء يوم مريض له شأن في المجتمع ، ويكفي أنه أستاذ في أحد المعاهد العالية ، فلما فحصته وشخصت له المرض اطمأن واستراح ، فدعوته لتناول فنجان قهوة بالمكتب فتفضل بالقبول ، وفي الناس من يتفضلون بالقبول وأنت المتفضل عليهم بالمعروف

وفي أثناء الحديث فهمت أن زوجته عليلة وأنه كان يود أن أمضي لعيادتها لولا خوفه من كلام الناس . وبعد مراجعته فهمت أن مركزه العلمي لم يعصمه من تصديق كل ما يكتب في الجرائد. وعرفت بعد فوات الوقت أن الاعتماد على عقول بني آدم ضرب من الخيال

إن من الجريمة أن نسكت عما يكتب عنا في أمة لا تنقد ما تقرأ ، ولا تمحص ما تسمع . ومن الجريمة أن نسعى إلى الشهرة فان الشهرة أصل كل بلاء ، والرجل المشهور يصدق الناس فيه كل بهتان ، ولا سيما في الأمم التي تضعف فيها الثقة بالأخلاق ، ومصر التي نحبها راضين أو كارهين مبتلاة بهذه البلية ، فأهلها لا يصدقون أن العبقريين والنوابغ أصحاب أخلاق ، وما أزعم أني نابغ أو عبقري حتى أصبح أهلا لتلك الظنون ، ولكني بالحق أو بالباطل صرت من أشهر الرجال ، وللشهرة عقابيل

* * *

كنت أستطيع مع كثرة الشواغل أن أدفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ، ولكن صرفني عن ذلك إيماني بأن ليلى صديقة غالية ، وأنها خليقة بألا تفتح أذنيها لما يصوّبه الحاقدون من دسائس وأضاليل . ثم كتب الله أن أتلقى عن ليلى درساً لم أظفر بمثله وقد قضيت عشرين عاماً في الحياة الجامعية . تلقيت عن ليلى درساً عظيما جداً ، وأنا أقدمه إلى قراء هذه المذكرات بالمجان وإن كنت دفعت ثمنه من دمعي ومن دمي ، أنا العاشق الذي يعاني ظلام الحب وظلام الليل

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه المذكرات . استمع فما أرجو منك جزاء ولا شكوراً ، وإن كنت أشتهي أن تسكب على قبري دمعة يوم أموت ؛ وسأموت ، فلكل أجل كتاب

تعلمت عن ليلى أن الصديق في حاجة إلى حراسة ، وأستطيع أن أقول إن حراسة الغنم أسهل من حراسة الأصدقاء ، ولا يغفل عن حراسة صديقه إلا غافل أو جهول ، وقد خلق الله لكل صديق أذنين طويلتين ، وهاتان الأذنان لهما سمع دقيق ، والصديق يحسبك من بعض ما يملك ، فهو يسمع فيك كل قيل ، كما يسمع

فى داره أوهام المهندسين ، وكما يجتلب لأملاكه صغار المساحين ، وهو يفرح لما يساق إليك من زور وبهتان ، لأنه من بنى آدم ، وابن آدم حيوان ضعيف لم يعش بفضل القوة كما عاشت الأسود ، ولم يعش بفضل الجمال كما عاشت الغزلان ، وإنما عاش هذا الحيوان الضعيف بفضل المكر والدهاء

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه المذكرات من الفيلسوف المودّع ، فما فى دنيا كم ما يشوقنى يا بنى آدم حتى أستطيب فيها العيش

استمع يا غافل يا جهول

ليس فى أصدقائك من يسره أن تكون أعظم منه علماً أو جاهاً

ليس فيهم والله من يسره أن يكون إخلاصك فى هواه أعظم وأروع

فالصديق — وا أسفاه — يتشهى أن يثبت لديه أنه أعظم منك فى كل شيء ليتصدق عليك بالعطف والحنان

الصديق يرضيه أن يقول « أعطيتُ » ويؤذيه أن يقول « أخذتُ »

والأصدقاء يملكون فى إيذائك ما لا يملك الأعداء

العدوّ متَّهَمٌ — بفتح الهاء — وتجريحه إياك يتلقاه الناس ساخرين .

أما الصديق فمؤتمن — بفتح الميم — وتجريحه إياك يتلقاه الناس بالقبول

وللأصدقاء أساليب فى تجريح من يصادقون ، ويا ويل من ابتلته المقادير بلئام الأصدقاء ! يترفق الصديق فيقول : أنتم تعلمون أنى شديد العطف على فلان لما بيننا من متين الصلات ، وهو والله رجل مفضال لولا كيت وكيت !

ويتلطف الصديق فيقول : لا تثوروا على فلان فهو عبقريٌّ وللعبقريين بَدوات !

وتزداد البلية بالأصدقاء حين تصبح ولك نصيب من المجد . فالصداقة توهمهم فكرة المساواة فى الحظوظ والدرجات ، فان تقدمت وتخلفوا لم يكن معنى ذلك عندهم أنك أخذت ماتستحق ، وإنما كان معناه أنك خدعت زمانك فانخدع ، وأن لك وسائل يعفون عنها لأنهم على تخلفهم شرفاء !

والصديق لا يصدّق أنك تصل إلى منازل المجد بالجهاد وسهر الليل وإقذاء العينين تحت ضوء المصباح ، وإنما يتخيل أنك اغتصبت المجد بالتهويل والتضليل ، ولا يرى لك رأياً طريفاً أو فكرة عبقرية إلا حدثته النفس بأن يغض منها بالتصغير والتزييف .

وأخطر أعدائنا هم الأصدقاء الأعزاء الذين جاريناهم فى ميادين المجد . فهؤلاء لا يتصورون أبداً أن ميادين الجهاد فيها سابق ومتخاف . ولعلهم كانوا يظنون أن من حقهم علينا أن نتخاف ليتقدموا . ولو أننا فعلنا طائعين لما ظفرنا منهم بكلمة تفصح عن حفظ الجميل ، ويكون فيها معنى العزاء ، وإنما نلقى منهم الصلف والاستطالة والكبرياء والعدوان

والأصدقاء يصنعون بمصايرنا ماتصنع جراثيم المرض المدفون ، فهم يقتلوننا عن طريق الاغتيال ، وما نجد فى إدانتهم شاهداً واحداً حتى نقدمهم إلى ساحة الجزاء

وفى الدنيا السخيفة تقاليد تحمى الصديق الخادع من انتصاف الصديق الصدوق . والتفكير فى محاسبة الصديق هو فى ذاته بلية ، لأنه يفتح الباب لأهل اللغو والفضول ، ويعرضك لمآثم الشبهات ومنكرات الأراجيف

والعدو اللئيم هو فى الأصل صديق حميم ... ولكن كيف؟ كان صديقاً يحب أن تكون فى خدمته كيف شاء ، وحين يشاء ؛ فلما التويت عليه بفضل مالك من وجود خاص تنكّر وتغير ومضى يضع فى طريقك الأشواك بلا رحمة ولا إشفاق

الصديق الحق هو الذى يعتقد أنك أفضل منه وإن كان فى الواقع أفضل منك

هذا هو الصديق . ولكن أين من يعرف هذا المعنى النبيل ؟

أين الصديق الذى يعرف قيمة التضحية بأهواء النفس ؟

أين الصديق الذى لا يريد أن يتخذ من شهرتك لوحة إعلانات؟

أين الصديق الذى يفهم أن من حقك أن تناضل لتسود ؟

أين الصديق الذى يدرك أن المودة كالصلاة يفسدها الرياء ؟

أين الصديق الذى يرى عيوبه ويعمى عن عيوبك ؟

بل أين الصديق الذى لا تخاف من أن يتزيد عليك ؟

وا أسفاه لقد انقضت أحلامى وأوهامى . كنت أرى الجمال

فى وجوه الناس ، فأصبحت لا أراهم إلا وأنا متفزع متخوف كالذى يمسُّ الحية فى غسق الليل . كنت كالطفل يأنس بجميع الوجوه ، ويتسمع لجميع الأصوات ، ويتشوف إلى كل ما فى الوجود ، ثم أمسيت وأشهى مُناى ألا يطرق بابى طارق ، وأن لا تقع عينى على مخلوق

كذلك ابتدأت ، وكذلك انتهيت ، وعند الله والحب جزائى

* * *

آه ، ثم آه ! !

ماهذه الخطوط التى أسود بها وجه القرطاس ؟

هذه الخطوط هى نصيبى من حب ليلى ومن عبث ظمياء

وتلك نهاية من يحسب أن نهار الحب لا يعقبه ليل

تلك نهاية العاشق الغافل الذى قضى الأعوام الطوال فى عبادة الجمال

ولـكن ماهذا اللؤم الذى ينحدر إليه قلمى ؟

أمن أجل أيام فى معاناة الصدود أكفر بالصداقة وبالحب ؟

أحبك ياليلى ، أحبك يا ليلاى

أحبك يا مسكينة لأنى من المساكين

أحبك يا شقية لأنى من الأشقياء

أحبك يا ليلى وسأنحت لك صنما من ضلوعى

أحبك يا ليلى وسأنزف دمى قطرة قطرة ثم أتخذ من حديده خاتماً أقدمه إليك يوم يحين الفراق ، وما أصعب الفراق !

أحبك ياليلى وسأرقم اسمك الجميل على خد القمر وجبين الشمس

أحبك ياليلى وسأترحم عليك فى صلواتى كما أترحم على أبى وأمي

أحبك ياليلى وسأستعذب فى سبيلك محنتى وعذابى

أحبك يالئيمة يا غادرة يا ظلوم ، وأصفح من أجلك عن أهل اللؤم والغدر والظلم والجحود

أحبك ياليلى ، أحبك ، وما أتصدق عليك بالحب ، فأنا أهفو إليك بلا وعى ولا إحساس . وقد حاولت مليون مرة أن أتوب من هواك فما صحّت لى توبة ، ولا نفعتني عظة ، ولا عصمنى عقل ، ولا هدانى وجدان

أحبك يا روحى ويا ضناى . أحبك أصدق الحب ، وأبغضك أعنف البغض ، ولو رأيتك فى هذه اللحظة لروّيت روحى بدمك التالى ، ولـكن متى أراك ؟ تلك أوهام وأضاليل !

لقد نجوت من يدى ياشقية ، فعليك غضبة الله ولعنة الحب !

* * *

أتريد ليلى أن أنتحر ؟

هيهات ثم هيهات ! فأنا طبيب ، ومن الحق أن أداوى الناس وأنسى نفسى

قرأت « شريعة الحب » فقرة فقرة ، وهى مسطورة على قبر الحلاج ، وقد فهمت من أسرار الحروف أن الحب له دواء . ودواء الحب أن تخلق لنفسك شواغل جديدة تصرف قلبك عن إطالة التفكير فيمن تحب

وكذلك فعلت فأقبلت على شهود موسم الحفلات فى بغداد وهو موسم لا يعرف قيمته إلا من يراه

شهدت بعض الحفلات التمثيلية التى أقيمت فى المدارس الثانوية ، فعرفت أن التمثيل سيكون له مستقبل فى بغداد . ورأيت أهل العراق يخشون ما يخشاه أهل مصر من اختلاط الجنسين ، ولـكن أهل مصر احترسوا بعض الاحتراس، فهم يؤلفون للمدارس روايات تمثيلية تخلو من المرأة ؛ وليت أهل العراق يصنعون مثل هـذا الصنيع إلى أن يفصل الزمن فى قضية اختلاط الجنسين ، فقـد رأيتهم يمثلون فى المدارس روايات فيها المرأة ، والمرأة فى هذه الحال شاب يلبس ملابس النساء . وأنا أرجو زملائى من نظار المدارس في العراق أن يفكروا فى هذه القضية ، فظهور الشبان فى ملابس النساء لا يقل قبحاً عن ظهور النساء فى ملابس الرجال. وما أقول إن الرجل أشرف من المرأة من حيث الجنس فلـكل جنس خصائص ، وإنما أريد أن أقرر أن شرف الرجل فى الرجولة وشرف المرأة في الأنوثة ، فالمرأة تجرم حين تلبس ثوب الرجل ، والرجل يجرم حين يلبس ثوب المرأة . والاشارة فى هذا الموضوع الدقيق تكفى للبيان

وشهدت حفلة توزيع الجوائز بكلية الحقوق . وكانت حفلة رائعة خطب فيها الدكتور محمود عزمى خطبة جيدة، ولـكنه لم يراع براعة المقطع ، فقد ختم الخطبة باعلان الوفاة ، وفاة أحد المتخرجين. وصح للأستاذ محمود درويش أن يقول « ماهو خوش مقطع هذا » وعند تلاوة القسم أقسم المتخرجون دفعة واحدة بلا خشوع ،

وكان الرأي أن يقسموا واحداً واحداً . وقد تذكرت القسم الذى أقسمته على يد الأستاذ الدكتور طه حسين يوم ظفرت بالدكتوراه الأخيرة فى كلية الآداب ، فقد ترددت وتهيبت ، لأنى كنت أخشى أن يربطنى القسم وحدى ، فلتذكر ذلك أحجار كلية الآداب بالجامعة المصرية ، إن كان للاحجار وجدان

وألقى الطالب حازم المفتى خطبة فصيحة نوه فيها بالأواصر العلمية بين مصر والعراق . وهنا أذكر أن العراق شرّف مصر حين ائتمنها على كلية الحقوق ، وهو شرف عظيم جداً ، ومن واجب الأساتذة المصريين أن يتذكروا فى كل لحظة قيمة هذه الثقة الغالية . من واجبهم أن يفهموا أن من الشرف أن يموتوا فى سبيل تلاميذهم فى العراق

ومن حسن الحظ أن ذلك الطالب نص على أن مصر تفقهت على يد الشافعى وقد رحل اليها بعد أن تفقه بالعراق

ولو كان لى مجال بين الخطباء فى ذلك اليوم لأضفت إلى هذا أن علماء مصر ظلوا مئات السنين وهم يهتفون : « قال البصريون وقال الكوفيون » وحصير الأزهر يشهد ، وهو فى هذا الباب من أصدق الشاهدين

أعتقد أن العراق أدى حق الأخوة حين وثق بمصر ، ولم يبق إلا أن يؤدى المصريون واجبهم فى حمل الأمانة وحفظ العهد

وخطب معالى وزير المعارف خطبة وجيزة جداً أعلن فيها ارتياحه إلى تبادل العطف بين الأساتذة والطلاب ، وهو معنى شريف

وبعد توزيع الجوائز وتناول الشاى غنى الأستاذ محمود توفيق مع فرقة الاذاعة أغنية طريفة . ثم غنت المطربة زكية جورج أغنية فيها اسم « ليلى » فاشرأبت أعناق الحاضرين للبحث عن مكانى ، وصاح سعادة الأستاذ تحسين ابراهيم : أين الدكتور زكى مبارك ؟ فتقدمت على استحياء والدمع فى عينى ، وشكرت المطربة ، ورجوتها أن تغنىّ : « على بلد المحبوب وديني »

فلما وصلت إلى عبارة « وعينىّ تبق فى عينيك » نظرتْ إلىّ وحدّقت بعطف وحنان ، وفهم الحاضرون الاشارة فضجت أكفهم بالتصفيق ، ورأيت موقفى صار فى غاية من الحرج فانسحبت وحرمت نفسى بقية الأطايب التى وعد بها منهج الاحتفال

وبعد أسبوع حضرت حفلة توزيع الجوائز بكلية الطب فرأيت الطلاب فى صف والطالبات فى صف ، وراعنى أن يكون الطالبات جميعاً من البيض ، فيارباه كيف جعلت ليلاى بالعراق سمراء ! ... أحبك ياليلى وأحب شعاع السمرة وهو يتموج فى سرائر وجهك الجميل !

وأقسم المتخرجون اليمين واحداً واحداً . وليتهم أقسموا دفعة واحدة ، كالذى وقع فى كلية الحقوق ، فقد قضيت نحو ألفى ثانية وأنا أسمع « وأقسم أن لا أفشى سراً لمريض » وأدرك الأستاذ مهدى كبة حيرتى وذهولى فقال : تلك عاقبة من يفشى أسرار مرضاه من الملاح

فضحتنى يا ليلى ، شفاك الله وعفا عني !

ولما خرجت من الحفلة مضيت إلى محطة الاذاعة ، مضيت أستجدى الصوت المأثور :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فيا ليتنى كنت الطبيب المداويا

ولكن سكرتير الاذاعة فى هذه المرة رجل له وجه الجاحظ ولو شئت لقلت إنه الصفوانى . وقد اعتذر عن إذاعة ذلك الصوت لأنه لا يريد أن يحول أهل العراق إلى مجانين . كأنه يعقل !

وخرجت مع الأستاذ ابراهيم حلمي راجياً أن يكون في سمره الطريف ما يخفف حزنى ، فما خفّ حزنى ولا تزحزح ، ورجعت إلى البيت وأنا مكروب

وقمتُ قُبيل الفجر مرتاعاً لطرق الباب ، فتدثرت وخرجت فاذا الجار العزيز يسأل عن حالى وفى ذراعه زوجته المصرية النبيلة التى رعت غربتى أكرم رعاية . فقلت : خير ! ما عندك يا سيد داود ؟ فأجاب : لقد استيقظت السيدة وهى مرعوبة ، لأنها سمعتك تصرخ : آه ، آه ! يا ليل يا ليل ! وقد حسبناك مريضاً فحضرنا للاطمئنان عليك

فقلت : أنا بخير كما ترون ، وصوبت بصري إلى الزوج وقلت : الرفق لا يستغرب من عراقىّ مثلك . ونظرت إلى الزوجة وقلت : الأزهار المصرية رقيقة الأوراق

أنا كنت أقول : آه آه ؟ هذا صحيح ، ولكنى ما كنت أقول : « ياليل يا ليل » ؛ وإنما كنت أقول : « يا ليلى يا ليلى »

فضحتنى يا ليلى عند جيرانى ، وقد شفاك الله ، فمتى يمن على بالشفاء ؟

وفى ظهر ذلك اليوم المنيف مضيت لشهود حفلة الطيران ، وهى حفلة سنوية يستبق إليها أهل بغداد من رجال ونساء ، أقيمت الحفلة فى المطار المدنى ودامت ثلاث ساعات شهدت فيها الأعاجيب وعرفت أن فتيان العراق يعرفون معنى السيطرة على الهواء ، وكان فى المنهج صورة طريفة من التقاط الرسائل ، فألقيت بنفسى فى ساحة المطار وقدمت رسالة إلى الله عز شأنه أدعوه أن يزيح الكرب عن أهل فلسطين ، فإن شكاياتهم من الظلم كدرت جميع الناس ، وآذت المنصفين من أحرار اليهود . وأشهد صادقاً أنى رأيت ناساً من بنى إسرائيل يتوجعون لمصير العرب فى فلسطين ، وفلسطين الشهيدة لا تدافع اليهود من العرب ، وإنما تدافع اليهود الأجانب الذين يدخلون عليها بلا تسليم ولا استئذان فيغرسون الحقد على سائر اليهود فى الأقطار العربية . وشهدت الطيران القاصف ، طيران الهجوم ، فتمنيت لو ساد السلام وتحول الطيران فى جميع بقاع الأرض إلى وسائل اقتصادية

وشهدت تشكيلات الأسراب فرأيت كيف تقام الخطوط الهندسية فى أجواز الفضاء وفى الناس من يعجز عن إقامة الحدود الهندسية فوق القرطاس !

ورأيت الطيران الأهوج فتمنيت لو سموه طيران القلوب . فليس لأحوال القلوب ميزان !

كانت حفلة الطيران ممتعة من كل جانب. وقد خبلت عقلى فلم أنتبه إلى أن مكانى كان قريباً جدًّا من مكان جلالة الملك . ولو كنت تنبهت لتشرفت بمصافحته وهنأته بما وصلت إليه القوة الجوية فى العراق

وبعد أيام شهدت حفلة الكشافة ، وهى تجل عن الوصف ، وهى الشاهد على أن شبان العراق نقلوا إلى بلادهم أقوى مظاهر التمدن الحديث

وبفضل هذه الحفلة عرفت كيف أنشئ فى دار المعلمين العالية فرعاً للألعاب الرياضية

كان فى الحفلة كشافون وكشافات ، وكان من تقاليد الكشافين أن يحيوا المقصورة الملكية ، فيرد عليهم جلالة الملك بتحية أرق وألطف ، أما الكشافات فكن يمررن على المقصورة الملكية بلا تسليم

آه ثم آه من دلال الملاح !

***

داويت قلبى بهذه الشواغل التى أتاحها موسم الحفلات فى بغداد وحسبت أنى نجوت من عقابيل الصبابة الباغية

ولكن هيهات

ثم لطف الله فحضرت ظمياء

— إيش لونك يا دكتور ؟

— بخير وعافية ياظمياء ، لولا الذى تعلمين ، وإيش لون ليلى ؟

— فى عافية الفرس الجموح

— ومتى أراها يا ظمياء ؟

— لن تراها إلا إذا استغفرت من ذنوبك ؟

— وهل للأطفال ذنوب يا ظمياء ؟

— اسمع يا دكتور ، إن الدسائس حولك كثيرة جدًّا ، وليلى توجه إليك تهمات تهد الجبال

— أنا متهم يا ظمياء ؟ متهم فى بغداد ؟ وعند ليلاى ؟ آمنت بالله ، وكفرتُ بالحب !

— تشجع واحتمل الصدمات ، فقد عشت دهرك من الشجعان ومن الصابرين

— وكيف تتهمنى ليلى يا ظمياء ؟

— هى تتهمك ، ولك أن تدافع عن نفسك إن استطعت !

— أفصحى يا ظمياء ، فقد طار صوابى

— اسمع يا دكتور ، إن ليلى توجه إليك التهم الآتية ، وكلها مزعج مخيف

أما التهمة الأولى فهى :

(للحديث شجون) زكى مبارك

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ١٢ —

وحدث أن كان مولد الحزب الجديد فى نفس العام الذى كانت تختار البلاد فيه رئيساً جديداً للولايات ، فكان النشاط السياسى بذلك مضاعفاً ؛ وأحس الناس جميعاً أن مسألة العبيد قد أصبحت القطب الذى يدور عليه هذا النشاط السياسى فألقوا بالهم إليها على نحو لم تسلف بمثله فترة فى تاريخ البلاد

وعرف الحزب الجديد كما أسلفنا باسم الحزب الجمهورى ؛ ولقد أخذ الداعون إلى إنشائه ينشرون الدعوة له فى كل ولاية ؛ وكان أول اجتماع أهلى لهذا الحزب عام ١٨٥٦ فى مدينة فيلادليفيا ؛ أما عن مذهب الحزب فقد اجتمع أيضاً مرة أول الأمر على فكرة نجملها فى العمل على مقاومة انتشار العبيد كما جاء فى اتفاقية مسورى ؛ وكان هؤلاء الأنصار فى الولايات أخلاطاً من الأحزاب الأخرى تراهم وإن اتفقوا على المذهب أو كادوا ، لا يزالون مختلفين فى الوسيلة

ولم تك الينوس تلك الولاية التى ينتمى لنكولن إليها بدعاً من الولايات . ولقد دعا أنصار الحزب الجديد فيها إلى اجتماع تمهيدى يتدارسون فيه الأمر ويحددون الغاية ويسددون الوسيلة؛ وانعقد هـذا الاجتماع فى مدينة ديكاتور وشهده لنكولن فيمن شهده من رجال السياسة المبرزين ؛ وأدلى إليهم بما يرى ، وفطن المجتمعون إلى سياسته التى لن يتحول عنها والتى تتلخص فى أمرين : مقاومة انتشار العبيد والمحافظة على كيان الاتحاد ...

ولـكن لنكولن لا يزال من الوجهة الرسمية من رجال حزب الهوجز ، فهو لم يعلن انفصاله عنهم بعد ؛ فلما كان يومئذ فى طواف قضائى وقد دعا أنصار الحزب الجديد فى الينوس إلى مؤتمر عام يعقـد فى مدينة بلومنجتن ؛ ووضع صديقه هرندن اسمه فى الداعين إلى المؤتمر دون أن يرجع إليه ؛ فجاءه البرق بموافقته وبذلك أصبح ابراهام عضواً فى الحزب الجديد

واحتشد رجال هذا الحزب فى بلومنجتن لينظروا ماذا يرون ؛ وتطلعت أنظار المؤتمرين إلى لنكولن وفى روع كل منهم أنه رجل الساعة وأنه ابن بجدتها ؛ وبدأ فقال لمن حوله : « دعونا نجعل حجر الزواية فى بناء حزبنا الجديد إعلان الاستقلال » وهو يريد بإعلان الاستقلال ذلك الحادث التاريخى الذى ظهرت به الولايات المتحدة كأمة مستقلة فى هذا العالم ؛ وكأنه يشير إلى ما يتضمن الاستقلال من معانى الوحدة والأخاء والحرية والمساواة ، تلك المبادئ التى جعلها رجال الثورة شعار ثورتهم ... وأصدر المؤتمرون قرارهم فقالوا : « أجمعنا أمرنا على أننا نعتقد وفق آراء وتجارب جميع رجال السياسة المبرزين من كافة الأحزاب فى السنوات الستين الأولى للحكومة ، أن المؤتمر فى ظل الدستور يملك السلطة التامة ليوقف انتشار العبيد فى الولايات ؛ وأنه كما سيحرص على كافة الحقوق الدستورية لأهل الجنوب ، نعتقد أيضاً أن العدالة والإنسانية ومبادئ الحرية كما نص عليها فى إعلان استقلالنا وفى دستورنا القوى وما نتوخاه لحكومتنا من نقاء ودوام ؛ كل أولئك يستدعى أن يكون تنفيذ السلطة بحيث يمنع انتشار العبيد فى الولايات التى تعد حرة حتى الآن »

وإننا لنرى سياسة لنكولن واضحة تمام الوضوح فى هذا القرار الذى أعلنه المؤتمرون ؛ وفى ذلك الدليل على أنه كان غداة المؤتمر الرجل الذى ينبض بعبادته كل قلب ويتحرك باسمه كل لسان! ونحن إذا نظرنا إلى مبادئ الحزب الوليد فى جميع الولايات نجدها لا تختلف كثيراً عما جاء فى قرار رجال الينوس ، وبعبارة أخرى نجدها لا تختلف كثيراً عما يرى لنكولن ، وفى ذلك دليل آخر على عبقرية الرجل وعلى أصالته ...

ونظر إبراهام إلى المؤتمر فإذا رجاله على اتحادهم فى الغاية ، يختلفون فى الوسيلة التى تتحقق لهم بها تلك الغاية وإذاهم باعتبار ما سلف ، فئات متباينة آراؤها ؛ وإنه ليخشى الخلف فى الوسيلة

إلى ضياع الغاية ، بل إلى طمس صُوى الطريق وركوب الظلام وفي ذلك سوء المنقلب ؛ وإنه ليتحرق شوقاً أن يرى هؤلاء القوم وقد اجتمعت على الوسيلة كلمتهم كما اجتمعت على الغاية ؛ إنهم إذاً لفائزون ، وإن لم يذلك لبأساً يهون كل أمر عسير ، ثم إنهم لخطب فادح لا يطيقه المتمسكون بالعبيد من أهل الجنوب

وكأنما أحس المجتمعون بما أحس ، وإلا فماذا دعاهم أن يهتفوا به ؟ لقد تجاوبت باسمه جنبات المجتمع ، فراح الرجال يتصايحون لنكولن ... لنكولن ... نريد أن نسمع لنكولن ! وما كان له أن يتخلف وهو الخطيب الذي تهيب به مثل هاتيك المواقف وتواتيه عبقريته كلما أحست نفسه جلال الحادثات ! لذلك ما لبث أن وثب من مكانه ووقف فيهم وقفة الخطيب وهو لا يدري ماذا يقول . وسكتت الأصوات بعد جلبة ، واستقر الرجال بعد أن كان بعضهم من فرط السرور والحماسة يموج في بعض ...

وقف الخطيب أول الأمر صامتاً كأنما أغلقت من دونه مسالك القول ؛ والناس ينظرون إلى قوامه السمهري وقد مال برأسه إلى الخلف وبرز بصدره إلى الأمام ، والتمعت عيناه وتشكلت أساريره فبدت في مظهر يقصر عن وضعه معنى الجمال . وصفه أحد الحاضرين فقال : « كان في تلك اللحظة أوجه من رأت عيناي أبداً »

وتكلم فاذا المستمعون كأنهم رجل واحد ، لا فرق بينه ولا اختلاف ، وقد سرت إليهم من الخطيب موجة قوية من السحر ! وسرى إليه منهم تيار شديد من الحماسة ؛ وهو يرسل فيهم القول يجمع بين العاطفة تهز المشاعر ، والحجة تبهر العقول ، والأمثلة تبهج النفوس ؛ وكانت تشتد العاطفة حيناً فتفيض عيون ، ويلتمع الدليل آونة فتصفق الأكف وتنطلق بالهتاف الحناجر ، ويروق المثال أو تملح النكتة بين هذا وذاك فتتجاحل الأفواه بالضحكات .. والخطيب يلعب بالأفئدة ويستهوي المشاعر ويستمر لا يفتر حماسه ، ولا يكل منطقه ، ولا يضعف صوته ، والسامعون مأخوذون عن أنفسهم بما يقول حتى لقد ألقى مندوبو الصحف أقلامهم وأقبلوا بعقولهم وقلوبهم عليه يحرصون ألا تفوتهم كلمة من هذا السحر الحلال ...

ذلك ابن الغاب قاطع الأخشاب ! ذلك هدية الأحراج إلى عالم المدنية ؛ كأنما قد هيأته الأقدار لرسالته فبعثته من موطنه قوياً قوة الطبيعة واضحاً كالشمس لا يحجبها غيم ، ولكن أودعت في نفسه سراً عميقاً تحس لديه بما تحس به إذا وقفت في مدخل الغابة

أوضح في خطابه سياسته فلم يترك مجالاً للبس أوشك ؛ وكان إلى التحذير والانذار أقرب منه إلى التفاؤل والتمني ؛ حذر الناس أن يشتطوا فيؤدي شططهم إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فانه ليحس في الجو ما يسبق العاصفة ، وأنذرهم أن يتهاونوا أو يتخاذلوا فتذهب ريحهم وتضيع أصواتهم بدداً ؛ وهو في كل ما يزجي من القول صريح كأعظم ما تكون الصراحة ، واضح كأتم ما يكون الوضوح

تعرض لمسألة كنساس فقال في قوة اليقين وفي جلال الحق ؛ ستكون كنساس حرة ؛ وأردف فذكر السامعين أن الخروج على اتفاقية مسوري والسماح بانتشار العبيد وراء الحد الفاصل مؤد حتماً إلى جعل مسألة العبيد مسألة قومية عامة ، ولذلك فانه للفوز أبداً أو الهزيمة أبداً ، فانه ليشعر بتزايد قوى المتمسكين بمبدأ انتشار العبيد بينما يتراخى الداعون إلى مقاومة تياره . وكان في خطابه يبدو منه ما يبدو من رجل مقبل على موقف حاسم في تاريخ حياته ، ففي نبراته رنة الاخلاص ، وفي مقاطعه وابتداءاته لهجة اليقين وبينات الحرص الشديد أن يتدبر كلامه المنصتون ، وعلى وجهه علامات الاهتمام حيناً وأمارات القلق حيناً ومخايل الحذر والخوف واللهفة أحياناً ، وكذلك العظيم إذا تكلم كان كلامه من وجدانه ومن لبه ، وكانت حركاته حركات جوانحه وخفقات قلبه

ولقد تنبأ ذلك الرجل العظيم فذكر للناس أن مسألة العبيد سوف لا تحل حتى تنتهي إلى أزمة تجتاز بفضل إرادة الأمة ، فان تلك الارادة متى أوقظت اجتاحت الصعاب ؛ وكأنه كان يرى ما سيحدث عما قريب في صورة حرب أهلية ضروس

وانجلت المعركة الانتخابية عن فوز بيو كانون مرشح الحزب الديمقراطي ، ولقد ظهر فيها على منافسيه أحدهما مرشح الحزب الجديد ، والاخر مرشح حزب آخر كان يعرف بالمحايد ، ويضم عدداً كبيراً من الموجز ، ولكن نجاح الحزب الديمقراطي كان ينطوي على معنى الضعف ، فان ثلث أصواته انضمت إلى الحزب الجديد كما أن هذا الحزب قد نال على حداثته عدداً من الأصوات

بلى فى مقداره عدد أصوات الحزب الفائز ، حتى لقد اعتبر الكثيرون من المفكرين أن الفوز الحقيقى إنما هو للجمهوريين

ولقد انضم إلى هذا الحزب الوليد كثير من أهل الثقافة وأولى الأبصار ، فكان من رجاله فى مجلس الشيوخ نفر من الأماثل الذين أشربت قلوبهم حب بلادهم والذين فطرت نفوسهم على العدالة وجبلت على الرحمة والانسانية ، والذين كانوا يمقتون نظام العبيد من أعماق وجدانهم إذ يرونه نظاماً لا يوائم ماينشدونه لوطنهم من نهوض وقوة ...

وبدرت يومئذ فى البلاد بوادر الطلمة الكبري فلقد تلاحقت الأحداث وجرت الشائعات بالسوء وانبعثت الأحن والحزازات وتنابذ الناس وتباغوا وأصبح بأسهم بينهم شديداً ؛ فما هى إلا رجفة ثم ينفجر البركان ويزلزل البنيان ...

وكانت أولى تلك الأحداث ما كان فى مجلس الشيوخ فلقد كان فى المجلس رجل يدعى سمنر عرف بقوة الجنان وذلاقة اللسان وتوقد القريحة ، وهو ممن يكرهون أشد الكراهية نظام العبيد، حمل فى جرأة وقوة على قرار نبرسكا، وأهاب بالناس أن يتمسكوا باتفاق مسورى. ولقد كانت لهجته لاذعة وحججه قاطعة وعباراته مقذعة ؛ فلما كان ذات يوم بعدها جالساً إلى مكتبه فى المجلس يكتب فى سكون هجم عليه عضو من أهل الجنوب فضربه على أم رأسه بعصا غليظة فسقط على الأرض مغشياً عليه ، فكانت الضربة فى الواقع أولى ضربات الحرب الأهلية ، فأهل الجنوب بدل أن يستنكروا هذه الفعلة هللوا لها واعتبروا صاحبها بطلا جديراً بالتوقير . وقدم له جماعة من الطلبة عصا ذات رأس من الذهب ؛ أما أهل الشمال فلك أن تتصور مقدار ما بلغته النملة من نفوسهم وما تركته من الغيظ فى صدورهم فذلك مالا ينهض لتصويره كلام

وحدث بعد ذلك حادث آخر رج البلاد من أركانها ، وذلك أن أحد العبيد ، رحل مع سيده إلى ولاية من الولايات الشمالية الغربية ، وكانت أسرة ذلك العبد معه ، وكان عبداً ذكياً له حظ من التعليم أدرك أنه وراء الحد الفاصل بين ولايات العبيد والولايات الحرة ، فرفع أمره إلى القضاء يطلب أن يتمتع هو وأسرته بالحرية ما داموا فى ولاية حرة ؛ وانتقلت القضية من محكمة إلى محكمة حتى استقرت فى المحكمة العليا فى وشنجطون ؛ وأصدر القاضى الأعلى حكمه ، فقضى بأنه ما كان لأى عبد زنجى أن يرفع قضية أمام محكمة من محاكم البلاد كما يفعل الرجل الأبيض ، وأنه ليس للمؤتمر ولا لأى مجلس من مجالس الولايات أى سلطة تخوله أن يمنع أى شخص أن يعود بعبيده من الولايات الحرة إلى ولايات العبيد . . .

ولقد هز هذا الحكم البلاد هزا عنيفاً ؛ واستقبله أهل الجنوب طربين يطفرون من الفرح ، أما أهل الشمال فكان فى نفوسهم غمة وفى حلوقهم شجى ؛ ذلك أنهم رأوه يجعل اتفاق مسورى اتفاقا غير دستورى ، كما رأوه يقضى على قرار نبراسكا الذى يجعل لمجالس الولاية الحق فى تقرير ما يريده فى مسألة العبيد ؛ وبه أصبح العبد كقطعة من الأدوات ليس له حق فى نفسه أى حق أو شبه حق

وكان خطر هذا الحكم أنه صادر فى تلك المسألة التى تشغل الأذهان من المحكمة العليا للبلاد ، وأن صدوره جاء فى تلك الآونة التى كان الخلاف فيها على أشده بين الناس ؛ وسرعان ما انتشر بين الطبقات صغيرها وكبيرها ، وانشغل به الساسة عن كل أمر سواه فلا حديث لهم أينما تلاقوا إلا ما يحمل من المعانى ؛ أدرك الجميع أن قد أزفت الآزفة واقترب اليوم الذى يحتكم فيه الفريقان إلى السيف ؛ وأيقن لنكولن أن الحوادث تؤيد ما ارتأى ولعله كان يحس بينه وبين نفسه أن قد اقتربت الساعة التى يتناول فيها معولا لا ليقطع به الأخشاب كما كان يفعل من قبل بل ليهوى به على ذلك النظام البغيض فيضربه الضربة الحاسمة . . .

« يتبع » الخفيف

أسبوع فى فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

لما بلغتنى دعوة مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس ، لأذيع حديثاً عن المرحوم الرافعى لمناسبة تمام سنة على وفاته ... تهللت نفسى وسُرِّىَ عنى وقلت : هذا قطر من أقطار العربية لم يزل على وفائه لكاتب العربية والإسلام ...

ثم عادت إلىَّ الذكرى ، فتغشَّانى خزىٌ وألم حين ذكرت أن مصر العربية المسلمة لم تستطع — بعد عام — أن تقوم للرافعى ببعض حقه حتى فى الدعوة إلى حفلة تأبين تذيع فضله وتذكر به... إلا محاولات فاشلة لا تغنى ولا تقوم ببعض الوفاء !

وازدحمت فى رأسى صور وخواطر، وتتابعت على عينى ذكريات وذكريات، وتدافعت إلى صدرى آلام وأشجان ؛ وقالت لى نفسى: بعض هذا يا صاحبى ؛ وماذا كنت تنتظر أن تصنع مصر للرافعى ؛ وإن بينه وبين كل أديب فى مصر ثأراً لا يخفف الموت من عنفوانه وشدته !

وكأنما كانت مقالة صديقى الأستاذ سيد قطب فى ذلك الوقت لتذكرنى بالحقيقة التى يعيش فيها بعض أدبائنا حين يحاولون أن يجعلوا من بعض المداوات الأدبية ثأراً يتوارثه الأبناء عن الآباء، فيجعلون من دروسهم الأدبية إلى تلاميذهم ما كان بينهم وبين الموتى من المداوة والبغضاء !

... وهممت أن أعتذر إلى الداعى من حياء وكبرياء ، خشية أن يسألنى سائل هناك : ما ذا فعلت مصر للرافعى ولها كانت حياته وفيها مثواه ؟ فتمنعنى العزة القومية أن أتهم قومى بالعقوق ونكران الجميل

ولكنى جمعت عزيمتى وأقنعت نفسى بأن العلم لا وطن له ، وأن بلاد العربية كلها وطن واحد لمن يستشعر فى نفسه عزة المسلم ومجد العربى . وأجبت الدعوة ...

وكنت ثالث ثلاثة من المصريين دعتهم مصلحة الاذاعة بالقدس منذ كانت لاذاعة أحاديث أدبية ؛ أما السابقان فهما الدكتور هيكل باشا والأستاذ المازنى .

* * *

فلسطين هى تلك البلاد المقدسة التى تربطنا بها أواصر وثيقة منذ أقدم عصور التاريخ ، من أيام الفراعين ، إلى صدر الاسلام، إلى عهد صلاح الدين ، إلى تاريخ المماليك ، إلى زمن محمد على وابراهيم الفاتح ... إلى اليوم الذى مزقت فيه الحرب العظمى دول الاسلام ، وتوزعتها أطماعُ السياسة الأوربية !

بيننا وبينها وحدة الدين ، وآصرة اللغة ، وعاطفة الجوار ، وواشجة الدم والنسب من لدن عمرو بن العاص إلى عهد الفاروق . لا يفصلها عن مصر فاصلٌ من جبل أو بحر أو حد مصنوع ، إلا أن تكون تلك القناة الملعونة فى التاريخ — قناة السويس — التى كان إنشاؤها غُنما للعالم وغرماً على مصر ؛ ومنها كان الرمز الأول للقطيعة بين مصر وبلاد الاسلام ، حين شاعت على ألسنة المصريين تلك الخدعة المأثورة : « مصر قطعة من أوربا ! » فكانت دسيسةً سياسية بارعة ، فرّقتْ بين الأخوين لأبٍ وأمٍّ حيناً من الزمان !

* * *

ركبت القطار من محطة القاهرة فى منتصف الساعة السادسة من مساء السبت ٧ مايو ، وفى وهمى أننى مسافر إلى بلد بعيد ؛ فما أشرق صباح اليوم التالى حتى كنت فى مدينة القدس المطهرة عاصمة فلسطين ، قبل أن تبلغ الساعة التاسعة . ست عشرة ساعة بين القاهرة والقدس ، فى قطار يدب على رمال الصحراء دبيب السلحفاة بطيئاً وانياً ويقف فى الطريق أكثر من أربع ساعات

إن المسافر من القاهرة إلى بعض الأقاليم الجنوبية من مصر نفسها لا يبلغها فى ست عشرة ساعة فى القطار السريع ؛ وإنك مع ذلك لتسأل نفسك : كم مصريًّا رحل إلى هذه البلاد الشقيقة ليتعرف إلى أهله من أهلها ؟ فلا يأتيك الجواب بما يؤكد لك معنى من معانى الاخاء والقربى بين مصر وفلسطين !

لماذا لماذا ؟ لأن السياسة التى تسيطر على مصر وفلسطين لا يرضيها أن تكون بين مصر وفلسطين رابطة من الود والاخاء . وقد بلغت هذه السياسة فى مصر ما لم تبلغه هناك ، فنسى المصريون

إخوانهم فى فلسطين ولم ينس الفلسطينيون إخوانهم على ضفاف النيل ، وفى كل سنة يفد إلى مصر مئات من شباب فلسطين ، وأدباء فلسطين ، وتجار فلسطين ، ليمتعوا أنفسهم برؤية إخوانهم وأهليهم فى وادى النيل ، ثم يعودون إلى بلادهم ينتظرون ردّ الجميل فلا يجدون الجميل !

ست عشرة ساعة ، لو اطرد الطريق وقلت محطات الانتظار مابلغت ثمانى ساعات ، هى كل ما بين مصر وفلسطين .

ما أقرب وما أبعد !

وصل بى القطار المصرى إلى محطة القنطرة على القناة ، فى منتصف التاسعة مساء ؛ وركبتُ من ثمّة قطار فلسطين ، فلم يتحرك للسير قبل منتصف الثانية عشرة . ثم مضى بنا بين كثبان الرمل فى صحراء سينا إلى غايته . فلم يكن لنا مع الظلام الدامس ووحدة مناظر الصحراء ، إلا أن نأوى إلى مضاجعنا — غير الوثيرة — فما استيقظت إلا فى الخامسة صباحاً وقد اجتزنا الحدود المصرية ووقف القطار فى (غَزّة) أولى مدائن فلسطين . ونبهتنى أصوات الباعة على رصيف المحطة ؛ ففتحت النافذة لأستقبل أول شعاعة من أشعة الشمس البازغة من وراء الجبال ، تداعب أجفان النائمين خلف نوافذ القطار ؛ وهبّ النسيم ندياً معطّراً بأزهار النارنج كأنه يحمل أريجاً من أنفاس أهل الجنة . وسرّحتُ الطرف فيما أمامى ؛ فاذا صفحة مشرقة تتحدث عن جمال الطبيعة وقدرة الخلاّق ، لم ير المصريون لهاشبيهاً فيما رأوا من جمال الطبيعة المصرية بين الأسكندرية وأسوان .

بيوت مبعثرة على رؤوس التلال وفى سفوح الجبل ، وسهول رملية فيحاء قد نبتت فيها شجيرات القمح والشعير ، وحدائق خضر ناضرة قد ملأتها أشجار البرتقال والنارنج والمشمش ، ونخلة قائمة هنا ، وخيمة مضروبة هناك ، وكروم زاحفة على الأرض ، وأعشاب نامية على الصخر ، وأخاديد خدّدتها الأمطار فى خدود الجبال ؛ والقطار يسير فى طريق ملتوية بين منحنيات الجبال ، صاعداً منحدراً ، ومشرّقا مغرّباً ؛ كأنما اتخذوا له هذا الطريق ليجلوا على المسافر كل ما يمكن أن تجتليه العين من رُواء الطبيعة فى فلسطين ؛ فما مللت النظر إلى هذه المشاهد الفاتنة واقفا فى نافذة القطار ثلاث ساعات ، حتى وصلت إلى محطة اللّدّ فى الساعة الثامنة صباحاً ؛ ومحطة اللّدّ هى المحطة المركزية فى فلسطين ، ومنها تتفرع سكة الحديد فروعها إلى مختلف أنحاء البلاد ، أو يستمر القطار سائراً فى طريقه إلى دمشق ...

وانتظرت فى محطة اللّد زهاء ساعة ، قبل أن يتحول بى القطار فى طريقه إلى القدس المطهرة ؛ وفى الطريق بين اللّدّ والقدس ، صحبنى شاب من أدباء فلسطين أُنسيتُ اسمه ؛ فأخذ معى فى حديث طويل عن السياسة وآخر أنباء الثورة ومصير فلسطين ؛ وكان يتحدث إلى فى حماسة وقوة وانفعال كأنه خطيب على رأس كتيبة يحمّسها إلى الجهاد ؛ فوالله ماأدرى أكانت شدة أسره فى الحديث أم روعة المناظر من حولى أحب إلىّ ...

واقتربنا من بيت المقدس فسكت محدثى قليلاً ثم سأل : هل لى أن أتشرف بمعرفة سيّدى ؟ قلت : مصرى ! قال : نعم لقد عرفت ذلك من حديثك ، ولكن ... يخيّل إلى أنى أعرف أكثر من ذلك عن سيدى ... ولولا أن الجرائد تقول إن الأستاذ سعيد العريان لا يقدم إلى القدس إلا غداً ، لقلت إنك هو ... إننى أعرفه بصورته من مجلة الرسالة ... !

وكانت أول تحية كريمة يلقانى بها أديب من شباب فلسطين ، وكانت مفاجئة ؛ فأحسست شيئاً من الخجل والارتباك ، لم أجد معهما إلا أن أمد يدى إلى صحفة فى يده مستأذناً ، فدفعها إلى ؛ وفيها قرأت أننى قادم إلى القدس فى صباح الغد ... وهو الموعد الذى كنت حدّدته من قبل لمحطة الاذاعة ، ثم بكرت فى السفر قبل ميعادى بيوم ...

إننى لم أكن أقدّر — وأنا من أنا فى نفسى — أنى سأجد من يعرفنى فى فلسطين أو يهتم لمقدمي ؛ ولو أننى بلغت بنفسى من الغلو أقصى ما تبلغ إليه أمنية شاب مثلى ، لكان ما رأيت من حسن استقبال المقدسيّين وحفاوتهم فوق ما تبلغ منية التمنى ولا أزهو بنفسي فأزعم أننى أهل لبعض ما لقيت ، ولكنه كرم الفلسطينيين العرب يأبى إلا أن يستعلن فى كل مناسبة ولكل مجال

وفى دار شيخ أدباء العروبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى كان مقامى طول المدة التى قضيتها فى فلسطين . لقد دخلت فلسطين وأنا خفيف الظهر فما فارقتها حتى كان علىّ من الدين لهذا الرجل الكريم ما ينوء به كاهلى ؛ فشكراً له ثم شكراً ثم شكراً ... ومعذرة إليه إن عجزت عن الوفاء !

وصحبتنى طائفةٌ كريمة من الأدباء فى غُدُوى ورواحى ، لتهيئ لى أسباب التمتع في الرحلة بين المشاهد المقدسة والبيوت الأثرية ، فزرت المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ومصلّى عمر ،

وكنيسة القيامة ، ومصعد المسيح ، وبيت لحم ، والمتحف الإسلامي ، وكلية الروضة ، والنادي المصري ؛ وتمتعت برحلات عدة كان رفيقي في أكثرها الأستاذ الأديب إبراهيم طوقان وكيل القسم العربي في محطة الإذاعة . ولن أنسى ماحييت فضله وفضل الأصدقاء الكرام : الدكتور إسحاق الحسيني ، والشيخ يعقوب البخاري افندي ، والأستاذين داود حمدان ، وعبد الحميد يس ، وغيرهم من أدباء فلسطين وأهل الرأي والجيل

وإذا كان لي أن أذكر شيئاً بخصوصيته في هذه الرحلة ؛ فان اليوم الذي خطبتُ فيه في كلية روضة المعارف الاسلامية بالقدس سيظل أبقى أثراً وأخلد ذكراً بين أيامي

وكلية روضة المعارف الاسلامية في القدس ، هي مدرسة حرة يشرف على شئونها المجلس الاسلامي الأعلى ، ولها منهج خاص يُعِدُّ شباب العرب ليكونوا في مستقبل أيامهم رجال العربية والاسلام . ومدير هذه المدرسة هو الأستاذ عبد اللطيف الحسيني ورئيسها الأستاذ الجليل الشيخ محمد الصالح افندي ، وتضم بضع مئات من فتيان العرب جمعتهم إلى منهل في الثقافة العربية الإسلامية أكثرَ ملاءمة لحال البلاد في هذه الأيام . وفيها طائفة من المدرسين الأكفاء عرفت منهم الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصري ، والأستاذ عبد الرحمن الكيالي الفلسطيني ، وهما من خريجي مدرسة دار العلوم في مصر

زرت الكلية صباح الاثنين ٩ مايو مع الأستاذ طوقان ؛ وما بدٌّ لمن يزور فلسطين من أهل العربية من زيارة هذه الكلية ... وقضيت ساعة ... ثم انصرفت على موعد للغداء وإلقاء محاضرة في بهو المحاضرات بالكلية عن : « المثل الأعلى للشاب المسلم » بعد ظهر الأربعاء

لا تحدثني عن شباب مصر وطلبة العلم في مصر إذا ذُكر شباب فلسطين وطلبة العلم في كلية الروضة . هنا شباب يحسنون الزينة ويفتَنُّون في وسائل الأناقة والتجمُّل ، وهناك رجال قبل سنّ الرجال يعرفون لأي غاية يتعلمون ، ويفكرون لغدهم قبل أن يفكروا في مطالب الصِّبى وأمانيّ الشباب ...

وعرفت أولَ من عرفتُ في فلسطين ، شبابها العربي المسلم في كلية الروضة ...

(لها بقية) محمد سعيد العريان

رسالة مسلمي الصين الى مسلمي العالم

عن حقائق الحرب الصينية اليابانية القائمة

إخواننا الأعزاء المسلمين في العالم

أصدقاءنا الأجلاء المحبين للسلام

السلام عليكم وعلينا وعلى جميع المظلومين والمنكوبين في العالم!

إن بلاد الصين الجمهورية تحب السلم كما أحبته وهي ملكية . فهي تسير على نصيحة الحكماء الصينيين بعدم القتال وتقليل الجيش، وكانت تحسن معاملة البلاد المجاورة لها شاعرة بالشرف المشترك حريصة على حياة الجميع ، وهذه كلها حقائق تاريخية لدى الأمم الاسلامية

إن اليابان أخت الصين الصغيرة مشتركة معها في الجنس واللغة مجاورة لها كالشفة والسن، وهي متقدمة اليوم باستثنارتها من الآداب والتعاليم الصينية

هذا وإن اليابان تذكر دائماً ولا تنسى تلك الفكرة الاستعمارية القديمة فكرة الآباء والأسلاف ، فبدأت تثير الحرب بينها وبين الصين منذ ٣٠٠ سنة ، ولكن لم تصل إلى حلمها هذا لقلة قوتها في ذلك الوقت . وقد تضاعف جهدها في هذه الأيام القريبة للسعي في إثارة الصينيين فاتكأت على قواها الحربية سائرة على طريقة غير مشروعة وأخذت أراضي صينية كثيرة منذ ٦٠ سنة وقهرت أهاليها واستبدت بسكانها . على أن حكومة الصين الملكية في ذلك الوقت تساهلت وتجاوزت عن هذا الاعتداء، فاضطرب الشعب كله وهاج هائجه واتحد وثار سنة ١٩١١ على تلك الحكومة الملكية الاستبدادية المفرطة

ولما قامت على أنقاض الملكية حكومة صينية جمهورية سارت تلك الحكومة الجديدة في طريق البناء والعمران . وبعد القضاء على مبدأ الملكية واندحار المحافظين عليه . جاءت الحرب العظمى فانتهزت اليابان فرصة سوء الحال في الصين وكثرة مشاغل الدول فعرضت على الصين معاهدة تحتوي على ٢١ مادة كلها ترمي إلى إخضاع البلاد اقتصادياً وأدبياً ، وأجبرت الحكومة الصينية على قبولها وتوقيعها . فثار لذلك الطلبة الصينيون ونشروا دعاية وطنية

وبدءوا حركة المقاومة واجتهدوا في المخالفة والكفاح فلم تنجح اليابان كما كانت ترجو وتتمنى

وفي سنة ١٩٢٣ حدث فى اليابان زلزال شديد فعاونتها الصين والصينيون بكل قواهم وعطفوا عليها وجمعوا الأموال لمساعدتها ولكنها جزت الحسنة بالسيئة فأرسلت سنة ١٩٢٦ جيشاً كبيراً إلى الصين ليمنع تقدم الجيش الصيني الذى أرادت الحكومة الصينية أن تخمد به الملكيين

واتفق أن كتب رئيس وزراء اليابان الأسبق عريضته السرية التى عرضها على امبراطور اليابان فى شأن استعمار الصين فآسيا كلها ، وقال فيها :

« إن فى خطة امبراطوريتنا الثالثة أن نستعمر منشوريا ومنغوليا والصين كلها . ولكن قبل أن نستعمر الصين الداخلية يجب أن نستعمر منشوريا ومنغوليا كما أننا نستعمر آسيا بعد أن نملك الصين كلها ليعلم العالم بذلك أن آسيا الشرقية آسيانا فلا يعتدى عليها أحد »

وبهذا ترى اليابان تصرح بإرادتها فى استعمار آسيا كلها

ولما كان الفيضان سنة ١٩٣١ عم أغلب البلاد الصينية وشمل أكثر من ١٠٠ مليون نسمة عطف عليها العالم أجمع وساعدها مادياً وأدبياً إلا اليابان التى لم تحرك ساكناً فى تلك المساعدة ناسية حق الجوار متناسية الجميل ، لم تفعل هذا فحسب بل قد اغتنمت تلك الفرصة وتلك الحالة المحزنة في الصين واحتلت مكدون عاصمة منشوريا ورفضت قرار عصبة الأمم بل وانسحبت منها كأنها تثور على العالم أجمع

وبعد ذلك حاصرت اليابان سواحل الصين وضربت شنغهاى واحتلت ولايات الصين الشمالية الأربع وكونت حكومة غير مشروعة . وهى مع ذلك تساعد على نشر المخدرات فى المناطق التى احتلتها وتساعد المهربين بجنودها المسلحة وترسل الجيوش إلى الصين بدون استئذان وتطير فى الجو الصينى بطائراتها ، فاحتجت حكومتنا على هذا التصرف السيئ غير المشروع وفاوضتها ، ولكن الاحتجاج والمفاوضة لم يجديا نفعاً ولا فائدة

لم تزل اليابان تسير على خطتها الاستعمارية فبعثت رسلا إلى شمال الصين يحرضون حكام الولايات الشمالية على الانفصال عن الصين فلم ينجحوا . فغيرت خطتها البطيئة الخفية بالسريعة المكشوفة فأرسلت جيوشها فاحتلت مدينة وانبين بجوار بكين (٧ يوليو سنة ١٩٣٧) وقت استعراض الجيوش اليابانية قرب لوكاوتشا و ، ولم ينجح الصينيون فى منعهم ، فكان ذلك بدء الحرب المدمرة الطاحنة الغاشمة المخربة الحالية

والآن لا يمكن أن يصبر أحد من الصينيين على اعتداء اليابان على بلادهم ، وليس ذلك من جهة الوطنية فقط بل ومن جهة الانسانية والحق أيضاً . فالحكومة الصينية لا يمكنها السكوت على ضياع بلادها واقتطاعها جزءاً جزءاً مع حبها للسلم ، لأن الصبر على ذلك يهين الحق ويمذب الانسانية ويسم الصينيين بسمة الجبن فلابد إذاً من المقاومة ، وقد قال القائد العام المارشال تشانج كاى شيك : لا نترك السلم ما كان لنا أمل فيه ولا نقوم بالتضحية ما دام وقتها لم يحن . والآن قد انقطع أمل السلم وحان وقت التضحية فبدأت تتجمع قوات الحكومة الجرارة فى الدفاع عن البلاد حتى تنال الفوز الأخير ولو غرقت البلاد الواسعة العريقة فى الحضارة كلها والأهالى جميعاً فى الدماء

لهذا قد اتحدت الصين حكومة وشعباً فى الدفاع عن البلاد ومقاومة اليابان

والمسلمون فى الصين كذلك متحدون مع غيرهم فى الدفاع عن الوطن لأنهم يعرفون أن حب الوطن من الايمان وأن الجهاد فى سبيل الحق والانسانية هو الجهاد فى سبيل الدين الصحيح

وقد اشترك بعضهم فى الحرب تحت إمرة القواد المسلمين المشهورين، وقام غيرهم على إنقاذ المنكوبين وشئون التمريض وغير ذلك وسعى آخرون فى نشر الدعاية للصين واتحاد المسلمين فى العالم ليقفوا إلى جانب المسلمين فى الصين فى وجه المعتدين المخالفين للانسانية والحق والدين الصحيح

والآن لا يمكننا أن نصبر على اعتداء دولة أجنبية على وطننا ولا على إضرار المعتدى الأثيم باخواننا المسلمين فى بلادنا ، فلذلك وضعنا هذا الخطاب لنبين لاخواننا المسلمين فى العالم ومن أحب السلام والحق ما لاقاه المسلمون وغيرهم فى الصين من المحنة العظمى والحرب المشئومة رجاء أن يحكموا بالعدل وأن يقوموا بعمل إيجابى يعاقب به المعتدى أدبياً ومادياً فيعاديه السلام العالمى ويحقق



رسالة الشعر



مصطفى صادق الرافعى

للأستاذ فليكس فارس

تواريتَ فى الملأ الارفعِ — فأنتَ هُناكَ وأنتَ معى
هتكتَ عن الروحِ سترَ الترا — بِ وسترُ ترابى لم يُقشعِ
أماطَ القضا أحدَ البرقُعيـ — نِ وما زلتُ أُدرج في برقعى
ورسمُكَ قد غارَ فى ناظرى — وصوتُكَ قد غارَ فى مسمَعى
فأصبحتَ أقربَ منى إلى — قَرارةِ نفسىَ فى أضْلُعى
كأنكَ من قبلُ كنتَ الخيا — لَ فصرتَ اليقينَ بما لا أعى

***

أراكَ ، فيا ويحَ مَنْ لا يرى — حبيباً تولّى ولم يرجعِ
يسائل عنه طِباقَ الثرى — وليس سوى الوهمِ فى المضجعِ
أراكَ طليقاً كما كنتَ فى — حياتك فى عيشِكَ الموجعِ
وما يأسرُ الدهرُ غير الأُلى — يضلّون فى العالمِ الأخدعِ
فمَن عاش عبداً بدنيائه — سيُبعثُ عبداً على المَطلعِ
ومَنْ لم يكن ههُنا أروعاً — فليسَ هنالك بالأروعِ

***

عرفتك يا مصطفى مثلما — أراكَ وقد جُزتَ للمصرعِ
عرفتك روحاً يدور بها — من الدهرِ جيشُ الشقا المُفزعِ
وأنتَ تحدّى صروفَ الزما — نِ وتهزأُ فى حصنكِ الأمنعِ
وكيف تصيبك فى مقتلٍ — إذا لم يَكُنْ فيكَ من مطمعِ
غنمتَ من الأرضِ أرواحها — وعفتَ التهاويلَ للمدّعى
إذا الروحُ نالت معانى الوجو — دِ تخلّت عن الحرفِ والمقطعِ

به غرض الاسلام الأسمى لأن الله يأمرنا بالتعاون على الخير والمصلحة إذ قال : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال سبحانه وتعالى أيضاً : (إنه لا يحب المعتدين)

نور محمد دابوسين
ناظر مدرسة المعلمين الاسلامية بشنغهاى
ورئيس الجمعية الاسلامية الصينية

محمد ابراهيم شاه كوجين
رئيس البعثات الصينية
بالأزهر الشريف بمصر

***

هذه هي مقدمة الكتاب الذى وضعه الحاج الامام الأستاذ نور محمد دابوسين والحاج الأستاذ محمد ابراهيم شاه كوجين والذى ترجمه الأستاذ أبو بكر الصينى من اللغة الصينية إلى اللغة العربية وهذا الكتاب مشتمل على مقالات خطيرة مفصلة متعلقة بالحرب الصينية اليابانية القائمة الآن وأسبابها ونتائجها المتوقعة من الوجهة العسكرية والاقتصادية والسياسية .

وفيه فصل يبين فظائع اليابانيين فى الصين منذ بدأت الحرب إلى الآن من تدمير المدارس والجامعات والمساجد والمباني الخيرية والمصالح الأدبية وقتل الطلبة والشبان والمدنيين غير المحاربين والفجور بالنساء والفتيات ونهب الأموال والحلى واستعمال الغازات السامة فى الحرب وغير ذلك

وفيه فصل عن استماتة الصينيين فى دفع الأعداء عن وطنهم العزيز واستشهاد المسلمين منهم فى محاربة اليابانيين وهم تحت إمرة قواد مسلمين وغير مسلمين فى الجنوب والشمال وعددهم يفوق المليون . وجهاد القائد المسلم المشهور فى الصين الجنرال عمر باى تسون هسى ودفاعه عن الوطن بكل قواه . فاذا انتصرت الصين انتصر المسلمون فيها

وفيه فصول أخرى

هذا وقد كتب الأستاذان فى آخر الكتاب رجاء المسلمين فى الصين إلى المسلمين في العالم ألا يشتروا بضائع اليابان ولا يبيعوا إليهم المعادن ولا المواد الغذائية حتى يرجع اليابانيون عن خطتهم الاستعمارية وأن يساعدوهم أدبياً ومادياً بواسطة (جمعية الهلال الأحمر) بكل ما يستطيعون

وبما أننا مسلمون فعلينا واجباتنا الدينية ومنها المعاونة على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان — بذلك ننشر هذه الصيحة العالية بين المسلمين كي تجد صداها الحسن عندهم وردهم الجميل عليها

(***)

وعاينتِ الحقَّ نورَ الهدى … بكلِ مُصلٍّ على مركعِ

***

فقدناكَ يا مصطفى جامعاً … شتيتَ بنى العربِ فى الاربعِ
فقدناكَ تهدى شعوباً مضت … إلى القفر للمنبتِ المُمرعِ
بدا الآلُ يشعلُ سعّارها … فقُدتَ العطاشَ إلى المنبعِ
ورحتَ ترمّمُ من صرحهمْ … بما أنهارَ من متنهِ الأنصعِ
وغيرُكَ قد ضلَّ عن ردمهِ … فرقّع بالحجرِ الأسفعِ
وطفلُ العروبةِ فى بعثهِ … يسيرُ ضلولاً على المهيعِ
هديت الرضيع إلى أمه … وغيرك أهداه للمرضع

***

فقدناكَ يا مصطفى صورةً … لجيلٍ بأصلابنا مُودَعِ
لجيلٍ سيعرفُ أنسابَهُ … فينكرُ كلَّ دخيلٍ دَعي
إذا نازعته الدُّنى روحَه … يهبُّ بهوجائهِ الزعزعِ
يثورُ وفى قلبهِ ربُّه … فيمشى على السيف والمدفعِ

***

سلامٌ على غائبٍ حاضرٍ … تكفكفُ ذكراه من أدمعى
إذا ما سلا الناسُ موتاهمُ … بنسيانِ فقدهمِ المفجعِ
سلوتُك بالذكرِ يا مصطفى … وأنتَ بروحى فأنت معى

فليكس فارس

لم يطب للنبوغ فيك مقام...

لحن حزين هزته ذكرى الأديب
العربي الخالد مصطفى صادق الرافعي

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لم يَطِبْ للنُّبوغِ فيكِ مُقامُ … لا عَلَيْكِ – الغداةَ – منِّى سَلامُ
المناراتُ تَنطفى بَيْنَ كَفَّيْـكِ! ويزْهو بشاطئَيْكِ الظّلامُ
والصّدَى مِنْ مَناقِرِ البُومِ يَحْيا … ويَموتُ النَّشيدُ والإلْهامُ
قد حبوْتِ النَّعيبَ ظِلَّكِ لكِنْ … أَيْنَ قرَّتْ بِشطِّكِ الأنْغامُ؟
في هَجيرِ الأيَّامِ تَمضى أَغانيـكِ حيارَى، يؤجُّ فيها الضِّرامُ
عبرَتْ مَسْبَحَ الجداوِلِ، والنَّهـرِ، وغابَتْ كأنَّها أَوْهامُ
تَسكُبُ السِّحْرَ مِنْ شِفاهٍ عليْها … مَصْرَعُ السِّحْرِ: لهفةٌ! وأُوامُ!
تَسكُبُ العطرَ والخمائلُ صُفْرٌ … ماتَ فى الأيْكِ نوْرُها البسَّامُ!
تَسكبُ البُرْءَ مِنْ جراحٍ عليْها … تُرْعِشُ العُمْرَ شَكْوةٌ وسَقامُ!
أنتِ يا (مِصْرُ): واصْفحى إنْ تعتَّبْتُ، واشْجاكِ مِنْ نشيدى المَلامُ..
.. قد رعيْتِ الجميلَ في كل شىء … غيْرَ ما أحْسنَتْ بهِ الأقلامُ!
مِنْ رَوابيكِ خفَّ للخُلْدِ رُوحٌ … قد نَماهُ لعَصْرِكِ الإسْلامُ
لبِسَتْ بعدَهُ العُروبةُ ثوْباً … صِبْغُ أسْتارِهِ أَسًى وقَتامُ
لم تُفِقْ مِنْ شُجونها فيه (بَغْدا … دُ) ولا صابرَتْ أساها (الشام)
وعلَى (بلدة المعزِّ) دمُوعٌ … خلَّدَتْ ذِكْرَهُ بها الأهرامُ
صاحبُ المُعْجزاتِ أعْيَتْ حِجا الدُّنْـيا، وعيَّتْ عن كشفِها الأفهامُ
يَخبأُ الحكمةَ الخفيّةَ فى الوَحْـى كما تَخبأُ الشَّذى الأنسامُ
ويزُفُّ البيانَ كالسَّلسلِ المسْـكوب تَهفو بشطِّهِ الأحْلامُ
فإذا رقَّ خِلْتَهُ قُبَلَ الفَجْـرِ على نارِها يلَذُّ المنامُ
أوْ حديثَ النَّسيمِ للزَّهْرةِ السَّكْـرَى، من الطَّلِّ كأسُها والمدامُ
أوْ حَفيفَ السَّنابِلِ الخُضْرِ.. رفَّتْ … فى رُباها قنابرٌ ويمامُ
أوْ دُعاءَ النُّسَّاكِ.. أبلَتْ صداهُمْ … فى حِمَى اللهِ سَكْرةٌ وهُيامُ
وإذا ثارَ خِلْتَهُ شُهُبَ اللَّيْـلِ أطارَتْ لهيبَها الأجْرامُ
أوْ شُواظاً مسطَّراً... قذَفتْهُ … مِنْ لظَى العَقلِ هَيْجةٌ وعُرامُ
أتْعَبَ الجاهدينَ خلْفَ مراميـهِ بقَصْدٍ منالُهُ لا يُرامُ
أصْيَدُ الفكرِ والبراعةِ والوَحْـيِ.. عَلَى كِبْرِهِ يَفِلُّ الحسامُ
حيَّرَ النقدَ أنْ تروغَ المعاني … عَنْ مُريديهِ، أوْ تَندَّ السِّهامُ
فانْزوَى الحاسدُون.. إلاَّ فُضولاً … لا يُداريهِ عائبٌ شتَّامُ
قد سقاهُمْ من سِنِّهِ مَصْرَعَ الرُّو … حِ وإنْ لم تُلاقِهِ الأجسامُ
فلتقُمْ بعد موْتِهِ ثورةُ الشا … نِى فقدْ فارقَ الوغى الصمْصامُ
ولهُ الشأنُ.. عزَّةٌ وخُلودٌ … ولهمْ شأنُهمْ صدًى وكلامُ
إيهِ ياساقِيَ «المساكين» كأساً … لمْ تُسَلْسِلْ رحيقَها الأيَّامُ

قد جعلتَ الآلام وحيك حتى   فجرتْ نبعها لكَ الآلامُ
ما الذى كان فى سحابتك الحمـ   ـراء إلا الشجونُ والأسقام
كُنتَ فى عزلةٍ مع الوحى تشكو
وبشكواكَ كادَ يبكي الغمام
تمسحُ الدمع من عيونِ اليتامَى   وببلواكَ ينشِجُ الأيتام !
صُنتَ عهدَ البيانِ لم ترخِص القوْ   لَ ، ولا شابَ سحرَكَ الإعجام
وتفرّدتَ بالصياغةِ .. حتى   قيلَ فى عالمِ البيانِ : إمامُ !
ووهبتَ (الفرقان) قلبكَ .. حتى   فاضَ من قدسهِ لك الإلهام
فبعثتَ الإعجاز كالشمس منه   يتهدّى على سناهُ الأنامُ
فقمِ اليومَ ! وانظرِ الشرقَ . ضاعتْ
منْ يديهِ مواثقٌ وذمامُ
مزّقتْ قلبهُ الذئابُ من الفتـ   ـك .. ونامَ الرعاةُ والأغنامُ !
فى (فلسطينَ) لو علمتَ جراحٌ   ما لها في يد الطغاةِ التئامُ
وطنُ الوحى، والنبوّاتِ والإلـ   ـهام .. أودَى ! فعاثَ فيه الطغامُ
جذوةٌ فى جوانحِ الشرقِ تغلي   فيروعُ السماءَ منها اضطرامُ
يذبحُ القومُ فى المجازرِ - فرطَ الظـ   ـلم فيها - كأنهم أنعامُ
ويهانُ (المسيحُ) فى موطنِ القدْ   سِ ، ويشقى بأرضهِ الإسلام
وحماةُ البيانِ خرسٌ .. كأنَّ الذ   ودَ عن كعبةِ الجدودِ حرام!
إيهِ يا «مصطفى» وفى القلبِ أشجا   نٌ ! وفى الصدرِ حرقةٌ وضِرام
ليتَ لي سمعكَ الذي كرّمَ اللـ   ـهُ صداهُ ! فماتَ فيه الكلام
كُنتَ والوحيَ عاشقَين فماذا   بعدَ نجوى السماءِ يبغى الغرام؟
كُنتَ والوحيَ فى سكونِ نبيٍّ   عادهُ فى صلاتهِ إلهام
تتلقاهُ خاشعَ الهمسِ عفّاً   مثلما رفَّ بالغديرِ حمامُ
لا ضجيجٌ ! ولا اصطخابٌ ! ولكنْ
هدأةُ الروحِ قدْ جلاها المنامُ
هكذا نعشُكَ الطهورُ تهادَى   كالأماني، لا ضجةُ الازحام!
فاذهبِ اليومَ للخلودِ كما كُنْـ   ـتَ .. تناديكَ هدأةٌ وسلام
لمْ يمتْ منْ طواهُ فى قلبهِ الشرْ   قُ ! وغنى بذكرهِ الإسلام !

محمود حسن اسماعيل

راقصــــة

للأستاذ محمود غنيم

هنا الغرامُ والولَهْ   يا منظراً ما أجملَهْ
أتلك أنثى خطرتْ   أم فتنـــة منتقلهْ
مقبلـــةٌ مدبرةٌ   مائلةٌ معتـــدلهْ
كأن تحتَ إخمصَيـ   ـها جمرةً مشتعلهْ
باسمـةٌ يحسبهـا   كل فتى تبسم لهْ
تدورُ حول نفسهـا   كما تدورُ العجلهْ
وتنثنى كأنهـا   عن نفسها منـذهلهْ
أبدلهـا خالقهـا   بكلِّ عظم عضـلهْ
يا حسنها إذ عرّكتْ   أنملةً بأنمـــلهْ
أناملٌ من فضةٍ   لينـةٍ منفتـلهْ
جميعُ ما فى جسمها   يُغريك أن تقبّـلهْ
كم مقلةٍ شاخصـةٍ   همّتْ به لتأكلهْ
والسحرُ طلٌّ السحر فى الأ   نوثةِ المكتملهْ
من ترَمِهِ بلحظهـا   أدنت إليـه أجلَهْ
كم ارتقت مسرحها   فصيّرتهُ مقصَلهْ
دقّتْ على مسرحهـا   بساقهـا منفصـلهْ
كأن فى المسرح حرْ   باً هي فيها البطلهْ
زلزلةٌ قد أحـدثت   فى كل قلبٍ زلزلهْ
تستر نصف جسمها   غــلالةٌ مشكّلهْ
يشفُّ عن أعضائهـا   من تحتها مفصّـلهْ
جسم كموج عيلمٍ   تسبح فيـه الأخيلهْ
تحسَبُ فيه كلَّ عضـ   ـو وحدةً منفصـلهْ
فليس بين خصرِها   وبين صدرها صِلهْ



في تاريخ آداب اللغة العربية

الأستاذ كارل بروكلمن حجة المستشرقين العليا في الآداب العربية، واسمه معروف مستطير في الدوائر العلمية سواء في الغرب أو في الشرق العربي . وقد ظفر بتلك النباهة من طريق تآليف غاية في التدقيق العلمي والاطلاع الوافر . وعلى رأس هذه التآليف كتابه الفريد أيام برنر (سنة ١٨٩٨) « تاريخ الآداب العربية » باللغة الألمانية . وقد استفاد من هذا الكتاب الخصب عدد غير قليل ممن ألفوا في الموضوع عينه. وإذا تقضى على بروز الكتاب زمن رأى صاحبه أن ينشر له تكملة يورد فيها ما فاته ويستدرك ما فرط منه ويثبت ما جاء به العلم منذ سنة ١٨٩٨ . وقد ظهر من التكملة الجزء الأول وبعض الجزء الثاني . وستقع التكملة فيما يزيد على ألفي صفحة من القطع الكبير . ومما نذكره اليوم على سبيل الإشارة — مرجئين الكتابة إلى حين صدور التكملة كاملة — أن الأستاذ كارل بروكلمن أثبت فيما أثبت من المصادر والمراجع طائفة من المؤلفات أصحابها علماء وأدباء من لبنان والشام والعراق ومصر خاصة ، منهم : حفني ناصف وجورجي زيدان وأحمد الاسكندري ومصطفى صادق الرافعي وأحمد زكي (باشا) وأحمد حسن الزيات وطه حسين وسلامه موسى وزكي مبارك ومحمد فريد وجدي وبشر فارس ثم شفيق جبري وفؤاد أفرام البستاني والأب الكرملي ومعروف الرصافي

جوائز وزارة المعارف لتشجيع التأليف بين المدرسين

أصدر صاحب المعالي الدكتور حسين هيكل باشا وزير المعارف القرار التالي :

بما أننا نرى ضرورة العمل على تشجيع الانتاج بين المدرسين بمدارس الوزارة وبالمدارس الحرة من طريق حفزهم إلى البحث والتأليف في موضوعات اختصاصهم والموضوعات المتصلة بها بما يؤدي إلى تقوية شخصيتهم العلمية وزيادة حيوية دروسهم وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والأدبية ، تدعو إلى نشاط التفكير العام ، اذ ينتفع بها الطلاب والجمهور المثقف على السواء ، وتكون بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها

وبما أن المدرسين والأساتذة هم في جميع البلاد المتحضرة مصدر التجنيد العلمي والفكري والعملي في توجيه الحياة الاجتماعية إلى أحدث المبادىء وأدق الآراء العلمية والأدبية والفنية

بما أننا نرى من خير ما يمهد لهذه الغاية ، ويدفع إلى السير في طريقها رصد جوائز سنوية تمنح للمدرسين الذين يضعون رسائل في موضوعات علمية أو أدبية على أن يكون لنيل هذه الجوائز أثر في تقدير كفاية المدرس وما يستتبعه هذا التقدير من التشجيع قرر

المادة ١ — تعقد وزارة المعارف كل عام مباريات للتأليف بين المدرسين تخصص لها جوائز ثمان قيمة كل منها مائة جنيه ، تمنح للمتبارين الذين ترى لجان التحكيم أن رسائلهم جديرة بالمنح ويكون تخصيص هذه الجوائز على الوجه الآتي :

جائزة للموضوعات الأدبية ، وجائزة للموضوعات الاجتماعية،

في مرقص لا يعرف الـ   همَّ فؤادٌ نزَلَهْ
كأنه في بقعةٍ   عن الدنى منعزلهْ
بين الدنى وبينه   ستائرٌ منسدلهْ
الهمّ فيه واقفٌ   خجلانَ يُخفي خجلَهْ
دعني أضلَّ ساعةً !   عبء التقى ما أثقلَهْ
ما كنتُ من أهل المسو   ح والذُّقون المسبلَهْ
كم وَرَعٍ مصطنَعٍ   وعفةٍ مُفتعَلَهْ

(كوم حماده)   محمود غنيم

وجائزة للموضوعات الفلسفية ، وجائزة للموضوعات الجغرافية ، وجائزة للموضوعات التاريخية ، وجائزة للموضوعات الطبيعية ، وجائزة للموضوعات الرياضية ، وجائزة للموضوعات المتصلة بالتربية وعلم النفس

المادة ٢ — يشترط فى الرسائل التى يتقدم بها واضعوها لنيل الجائزة أن تكون باللغة العربية وان تكون موضوعاتها بعيدة عن التقيد بالمناهج وإن اتصلت بموضوعاتها ، بعيدة عن طبيعة الكتب المدرسية ، وإن تبدو فيها روح الابتكار فى طريقة معالجة الموضوع على الأقل ، وأن يكون لها اتصال بحياة البلاد العلمية والأدبية أو تاريخها القوى ، وأن تصطبغ بالصبغة القومية فى الأمثلة والتطبيق، وأن يراعى فى التأليف التبسط واستيفاء البحث من جميع أطرافه والأمانة العلمية فى إيراد الآراء والنظريات، وأن يتبع واضع الرسالة أسلوب البحث العلمى الحديث ، وطرائق النقد الحديثة فى ايراد نظرياته ومناقشتها . كما يشترط أن تكون الرسائل قد وضعت خصيصا لهذه المباريات ولم يكن قد سبق طبعها او نشرها ، والا تقل عن مائتى صفحة من القطع المتوسط

المادة ٣ — تحدد لهذه المباريات فى كل عام مدة غايتها ستة شهور تبتدىء فى أول يونيو وتنتهى فى آخر نوفبر ، يتقدم فيها المتبارون برسائلهم للوزارة غير مطبوعة

المادة ٤ — تشكل فى كل عام عقب انقضاء الأجل المحدد للمباراة لجان للتحكيم ، تقوم ببحث الرسائل التى تقدم فى المباراة ويكون أعضاؤها من الإخصائيين فى موضوعاتها

المادة ٥ — يجوز للجان التحكيم الا تمنح جائزة ما عن كل أو بعض الرسائل إذا لم تتوافر فيها الشروط المطلوبة ، أو اذا لم تصل الرسالة إلى المستوى الجدير بالجائزة

كما يجوز لهذه اللجان أن تقسم الجائزة الواحدة على أكثر من رسالة إذا تساوت قيمها العلمية أو تقاربت

المادة ٦ — تتولى وزارة المعارف نفقة طبع الرسائل التى تنال الجوائز ونشرها وتحفظ للمؤلف قسطا من أرباحها

المادة ٧ — على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار

مشروع المسابقة فى تاريخ الأدب العربى المصرى

نشرنا فى العدد الماضى خبراً عن مشروع المسابقة الذى وضعه معالى الدكتور هيكل باشا وزير المعارف فى موضوع « تاريخ الأدب العربي بمصر من الفتح الاسلامى إلى الآن » وقد رأى معالى الوزير أن يستطلع آراء المشتغلين بالدراسات الأدبية فى المشروع قبل إقراره . وقد تلقى ردود الأساتذة وكلها متفقة على تشجيع الفكرة واعتبارها عاملاً قويًّا من عوامل التمكين للمعانى القومية والنهضة الأدبية. ويمكن تلخيص مختلف الآراء فيما يلى :

يؤيد فكرة المسابقة تفتيش اللغة العربية ، وأساتذة دار العلوم ، والأستاذ أمين الخولى من كلية الآداب

ويؤيد بحث الموضوع ويخالف فكرة المسابقة ويطلب اختيار لجنة من الباحثين المعروفين الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين . وتخالف دار العلوم فكرتهما وترى أن فيها تثبيطاً لهمم الشباب وتحقيقاً لما يصح أن يسمى احتكاراً علميًّا

ويطالب تفتيش اللغة العربية مد المدة إلى سنة ، ويتفق معه في ذلك الأستاذ أمين الخولى ؛ ويطلب الدكتور طه حسين بك والأستاذ احمد أمين جعل المدة سنة وأربعة أشهر . وترى كلية الآداب زيادة المبلغ المقرر للجوائز . ويرى تفتيش اللغة العربية وضع برنامج للمتسابقين ، فى حين يرى الأستاذ الخولى ترك الحرية المطلقة لهم

وستؤلف لجنة لبحث هذه الآراء برئاسة وكيل الوزارة ثم تقدم تقريرها الى معالى الوزير ويصدر القرار على أساسه

شاعرة مصرية تفوز بجائزة الشعر الفرنسى

وزع فى الاسبوع الماضى « بيت الشعر » وهو الهيئة التى تضم شعراء فرنسا جوائزه السنوية برئاسة المسيو فالى بابيس السكرتير العام السابق للكوميدى فرانسيز

وقد منح الشعراء الفرنسيون الجوائز الثلاث المخصصة لأبناء فرنسا أما الجائزة الرابعة ؛ وهى جائزة ادجار بو المخصصة للشعراء الأجانب الذين ينظمون الشعر باللغة الفرنسية وقدرها خمسة آلاف

فرنك — فقد منحتها السيدة نيلي فوشيه زنانيرى على كتابها الأخير « الظهر تحت السماء المحرقة »

وقد ألقى المسيو فاليرى بابيس كلمة قال فيها : « إن هذه الجائزة — وهي موجودة منذ عشر سنوات — تفوز بها اليوم لأول مرة شاعرة مصرية . وكان الذين نالوها قبل الآن من الشعراء البلجيكيين والسويسريين واللبنانيين والكنديين

وإننا لنغتبط اليوم بأن تنال هـذه الجائزة شاعرة مصرية ، هى السيدة نيلي فوشيه زنانيرى ، من أجل كتابها الممتع الطريف

وكانت قد تقدمت لهذه المسابقة عدة مرات وها هي الآن تجني ثمرة ثباتها ومواهبها الشعرية الصافية الفياضة بالشعور

وإننا سعداء اليوم بأن تكون جائزتنا من نصيب مصر ، حيث للثقافة الفرنسية مكانة كبيرة ، وحيث يقابل الكتاب والمحاضرون الفرنسيون بكثير من الحفاوة »

ثم هنأ المسيو فاليري بابيس الصحافة المصرية على نموها وازدهارها فى السنوات الأخيرة وأشار إلى أن المسيو روبير فوشيه صهر السيدة الفائزة ومدير مكتب « الأهرام » فى باريس انتخب من بين ٢٥٠ من الصحافيين الأجانب سكرتيراً عاماً لجميتهم . وهكذا فان الصحافة المصرية والشعر المصرى يحتلان مكانة عالية فى باريس

وأشار السكرتير العام بعـد ذلك إلى أن السيدة زنانيرى منحت الجائزة باجماع الآراء ، بين ٤٦ متسابقاً أرسلوا ١٥٠ مؤلفاً

وقد أرسل « بيت الشعر » كتاباً رسمياً إلى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس يبلغه فيه أن الجائزة منحت لشاعرة مصرية

بين الرافعي والعقاد

قرأت ما يدور الآن من الجدل بين أنصار الرافعى وأنصار العقاد ، وقد أردت أن أدلى بهذه الكلمة الصغيرة فى البيت الذى يطعن فيه أنصار الرافعى من قصيدة العقاد فى الغزل الفلسفى :

فيكِ مِنى ومن الناس ومن كلِّ موجود وموعود تؤام

فقد ذهب الرافعى رحمه الله فى نقده إلى أن من كل موجود البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزى، إلى واوات من مثلها لا تعد ، أفيكون هذا كله فى حبيب إلا على مذهب العقاد فى ذوقه ولغته وفلسفته ؟

ورأيى فى هذا أن العقاد يمشى فى بيته مع بعض الفلاسفة الذين يرون كل شىء فى الطبيعة جميلا ، ويذهبون فيها مذهب الهيام الذى يبدى كل شىء فيها حسناً ، وهذا شأن كل محب مع حبيبه إذ يبلغ به الهيام فيه إلى حد لا يرى فيه نقصاً أو عيباً، بل إلى حد أن يرى نقصه كمالاً وجمالاً :

وعينُ الرضا عن كلِّ عيب كليلة
ولكنَّ عين السخط تُبدى المساويا

فبيت العقاد من هذه الناحية منسجم مع موضوع قصيدته فى الغزل الفلسفى ، ولم يكن فيه محتاجاً إلى تقييد جرير فى قوله :

ما استوصف الناس من شىء يَرُوقُهمُ
إلا أرى أمَّ عمرو فوق ما وصفوا

لأن جريراً لم يكن يتغزل على ذلك النحو الفلسفى ، وإنما كان يذهب فى غزله المذهب الظاهر فى الشعر العربى

ولا بد أن نشير بعد هذا إلى أن كل شىء فى هذا الكون لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، وقد ذهب إلى هذا بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى : (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) قال العلامة الزمخشري : إنه ما من شىء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، فجميع المخلوقات حسنة ، وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن

عبد المتعال الصعيدى

حول الفيلسوف « مسكويه » وعصره

سيدى الأستاذ الفاضل محرر الرسالة الغراء

بعد التحية : أشكر لكم وللأخ الفاضل الكريم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ما قدمتماه من استدراك جميل حرصتم فيه من جانبكم على أن تسموا الفيلسوف « بابن مسكويه » بدلا من « مسكويه » ، وحرص حضرة الأخ الكريم على أن يجعل حياته فى العصر « الرابع » لا « الثالث » ، وعلى أن هذا العصر لم يكن عصر تكوين للمعاجم اللغوية بالمعنى المضبوط

فأما استدراككم بشأن الاسم فما رأيكم فى أن كثيراً من المؤرخين والمترجين القدماء والمحدثين قد ذكر الرجل مجرداً عن

« الابن » فدعاه آناً « مسكويه » ، وآناً « أبو على أحمد بن محمد ابن يعقوب مسكويه » ؟ وما رأيكم أن من بين من دعوه كذلك القفطى وياقوت وابن أبي أصيبعة والوزير أبو شجاع والمستشرق مرجليوت ؟ وما رأيكم فى أن « التوحيدى » « معاصره » كان يدعوه دائماً « بمسكويه » كما جاء فى كتابه المخطوط « الامتاع والمؤانسة » وكتابه المطبوع « المقابسات » ؟ وما رأيكم فى أن مخطوط « جاويدان خرد » وهو أقدم مخطوط يحمل اسم الفيلسوف ينص على أن الرجل كان يسمى نفسه بهذا الاسم ؟

وأما استدراك الأستاذ الصديق بشأن العصر فلست أذكر فى الواقع المؤرخ الذى أخذت هذا الأمر عنه . وأحسب أنه قد تقيد فى قوله بالقوة والضعف أكثر مما تقيد بالزمن نفسه . وها هو كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى يعتبر أن شعر ابن سينا وهو معاصر لمسكويه يقع فى العصر العباسى الثانى لا الثالث ولا الرابع

وأما استدراكه بشأن تكوين المعاجم اللغوية فالواقع أنى لم أعن بدرس هذه الناحية لأنها على هامش بحثي . ولكني على أية حال اعتمدت فيما ذكرت على مؤلف ثقة هو المرحوم جورجى زيدان القائل فى كتابه : آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٢٣ أن هذا العصر يمتاز بنضج العلم وتكوين المعاجم اللغوية ؛ فإذا كان الأستاذ الفاضل يرى أن علماء اللغة فى هذا العصر لم يبلغوا من الكثرة والاحاطة ما بلغه علماء العصور التالية فأظن أن كلام زيدان لا يبقى مع ذلك صحيحاً

محمد حسن ظاظا

(الرسالة) لعل القراء الفضلاء يشاركوننا فى تحقيق هذا الخلاف

اكتشاف آثار مدينة من قبل المسيح

كتب إلى جريدة الديلى تلغراف مراسلها من نيويورك يقول إن الأثريين الأمريكيين الباحثين قرب شاطئ البحر الأحمر اكتشفوا آثار مرفأ كان زاهراً هناك حوالى ألف سنة إلى ثمانمائة سنة قبل المسيح

أما المدينة المكتشفة آثارها فهى ازيونجيير التى يدعوها العرب تل الخليفة . وهى واقعة عند الطرف الشمالى لخليج العقبة . ويرجع الفضل فى اكتشافها إلى جهود الدكتور جلوك مدير المعهد الأمريكي للأبحاث الشرقية فى القدس



عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

هذه نفحة أخرى لصاحب أهل الكهف وشهر زاد، نفحة فيها روح توفيق الحكيم وفن توفيق الحكيم، حتى لو أن الكتاب الذي يزجيها إليك كان غفلاً من اسم مؤلفه ما استطعت أن ترده إلا إليه ...

ولقد انتظرت هذا الكتاب منذ أن أعلن عنه، فلما تفضل مؤلفه الفاضل بإرساله إلى أقبلت عليه فتلوته، ولشد ما رغبت لو أنه طال عما هو عليه ليطول بذلك استمتاعي بتلك اللذة الساحرة التي لن يظفر بها المرء إلا في أمثال تلك القصة من الآثار الفنية العالية؛ وهأنذا أقدم الكتاب لقراء الرسالة لا أبتغي إلا أن أدلهم على متعة قوية أحب لهم — من فرط ما أعجبت بها — أن يشاركوني فيها

ولو كان المجال هنا مجال نقد يبسط موضوع الكتاب ويعرض لدقائق الفن فيه، لخشيت أن يحملني إعجابي به على الغلو، ولكني الآن بنجوة من هذا، فقصاراى هنا الوصف المحدود؛ ذلك أن الكتاب كغيره من الآثار القيمة جدير أن يفرد له صفحات أوسع من هذا المجال الذي تتركه لي الرسالة اليوم ...

قوة هذا الكتاب وخطره منحصران فيما يتضمنه من فكرة تستطيع أن تجملها في مسألة هي روحية: الشرق ومادية الغرب؛ أما القصة في ذاتها فبسيطة سهلة لا التواء فيها ولا جلبة ولا حركات مثيرة ولا مفاجآت قوية ولا غير هذه من ضروب الاستهواء التي نصادفها في بعض القصص؛ ولقد جاءت تلك البساطة نوعاً من الجمال في الكتاب فكان كآثار راسين سحره في عمق الفكرة ودقة الفن لا في مثيرات الحكاية

هذا محسن فتى شرقي يقيم في باريس ويعرفه الناس بأنه «عصفور من الشرق» تقع عيناه على حسناء من حسان باريس فتستأثر بلبه ويأخذ حسنها بمجامع قلبه؛ فإذا به يعيش بخياله الشرقي وروحانيته الشرقية عيشة أهل الجنة على هذه الأرض؛ وتتهيأ له سبل الاتصال بالفتاة ومجالستها ومصاحبتها حتى يصطدم بالواقع ويرى أنها لا تحبه وأنها تخدعه فيكون موقفه — كما صوره المؤلف — موقف آدم عند خروجه من الجنة ...

تلك هي الحادثة، وهي كما ترى بسيطة غاية البساطة، ولكنها على بساطتها مليئة بألوان السحر والفن فوصف شعور محسن في حبه يبهج النفس ويملأها نشوة، وبراعة الحوار والمناجاة هي السحر بعينه، بله دقة الفن وحسن سبكه

على أن خطر الكتاب وقيمته — كما قدمت — في فكرته؛ ولقد استطاع قصاصنا الكبير أن يدلي بآرائه على ألسنة أشخاص صورهم أحسن تصوير وأبرعه، فهذا هو محسن وهذا هو أندريه الغربي الذي لا يعرف خيالاً ولا شعراً؛ والذي يعتبر نقيضاً لمحسن يهزأ به وبأحلامه يسوقهما المؤلف لترى فيهما روح الشرق وروح الغربي، ثم هذا ايفانوفتش الروسي العامل الذي يجري المؤلف على لسانه الجزء الأكبر من فلسفته، ثم هذه هي سوزان الباريسية الحسناء التي أحبها محسن، إلى غير هؤلاء من الأشخاص الذين صورهم المؤلف أصدق تصوير وأجمله؛ ولو أني أردت أن أدلك على مواضع الجمال والقوة فيما جرى على ألسنتهم من آراء لدللتك على الكتاب كله، ولست — شهد الله — أغلو في ذلك ولا أسرف؛ ولم يقتصر المؤلف الفاضل في تصوير حياة الغرب على الآراء التي أجراها على ألسنة هؤلاء الأشخاص، بل لقد صور لنا عدة مناظر من الحياة ذاتها كالأسرة التي كان

يعيش فيها قبل انتقاله إلى النزل وكالمسرح وحفلات الموسيقى وغيرها فأحاط كتابه بجو بديع ؛ ولم يكن — شأنه فى ذلك شأن الفنان المتمكن من فنه — يعرض من الصور والمناظر إلا مايستلزمه إبراز الفكرة الفلسفية التى تدور عليها القصة ؛ انظر إلى الولد الصغير يوحى إليه بمحاربة البوش والشيخ المسن يبدى تذمره واستياءه إذ يعرض لحال العمال وربة الأسرة تخشى أن يرحل محسن إلى جهة أخرى ولا مرتزق لهم إلا ما يدفع من أجر ، تر صوراً قوية أخاذة لحياة الغرب يقدمها المؤلف بين يدى فكرته فى مهارة تحملك على الاعجاب ...

ولقد كان فى التعبير عن فكرته بهذه الطريقة موفقاً جهد التوفيق ، فليس أوقع من الإيحاء والاشارة فى تصوير المعنى الفلسفى المراد ؛ تجد ذلك فى الشعر وهو الصور القائمة على اللفظ وتجده فى التصوير بالألوان ، وتجده فى الموسيقى ؛ ولعمرى ما يستطيع عالم من علماء النفس مهما اتسعت آفاق علمه أن « يصور » لك الأنانى أو المخاتل أو الغيران أو الجشع أو اللئيم أو غير هؤلاء كما يستطيع أن يفعل رجل الفن ، فرسم الصور الحية عمل ذلك الفنان ومنها تأخذ من المعانى ماشئت وشتان بين الصورة الحية والمعانى المجردة ؛ وهل قامت عظمة شكسبير ودكنز وجوته وهوجو وراسين وأضرابهم إلا على ذلك الفن الذى يخلق من المعانى الحياة ؟ وإنك لتستطيع أن ترد نجاح توفيق الحكيم ونباهة شأنه إلى هذه الموهبة الفنية أكثر مما ترده إلى أى شىء آخر

وأحب أن أشير هنا أن شخصية محسن هي كما يدرك القارىء دون عناء شخصية المؤلف نفسه تتجلى هنا كما تجلت فى قصة « عودة الروح » كما أحب أن أشير على الرغم من ضيق المجال أن هذا الكتاب يقدم لنا دليلا جديداً على أن فن توفيق الحكيم فى القصة فن غير مقصور على ناحية معينة ، ولقد قدم لنا فى أهل الكهف وشهر زاد لونين من ألوان القصة المسرحية ، ثم أرانا فى عودة الروح لوناً من ألوان القصص غير المسرحية ، وفى يوميات نائب فى الأرياف أتى بنوع جديد يعد من القصص الاصلاحية ، ثم هو فى هذه القصة الأخيرة يأبى إلا أن يبتدع فهو كما ترى لا يتخصص فى نوع واحد ، ولكنه مع ذلك يسمو فى كل نوع سمواً يشعرك فى كل قصة كأنه أوقف على لونها فنه ومواهبه ، ولقد يحسب بعض النقاد هذا مستحيلا أو يعدونه نقصاً ويستشهدون على ذلك بأن كثيراً من كبار القصاصين يقتصر الواحد منهم على لون لا يحسن غيره ، ولكن توفيق الحكيم يقيم الدليل القاطع على غلوهم فى هذا الزعم ، وما ذا عسى أن يحول بينه وبين الاجادة فى كل نوع والمسألة كلها مسألة قصص وهذا فن ركب فى فطرته وإن له من قوة روحه وعمق فلسفته وسعة ثقافته لمعين لا ينضب ؟ إننا لا يسعنا كما أسلفت فى معرض آخر إلا أن نعتز بفن توفيق الحكيم كمظهر من مظاهر نهضتنا الثقافية وما أحوجنا إلى أمثاله فى جميع نواحى حياتنا الأدبية والعلمية . أجل ما أحوجنا إلى أمثاله النابغين الذين يردون بالعمل الناضج الفذ على الذين يرموننا بالقصور وينكرون علينا استعدادنا للتفوق . فليتقبل منى الأستاذ النابه هذه العجالة تحلة معجب وتحية صديق

الخفيف